16 em Année No. 773

Lundi — 2 — 46 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

دعويان منفصـــــلتان

للأستاذ عباس محمود العقاد

تلقيت من الأستاذ صاحب التوقيع خطاباً جاء فيه :

« ... قابلت فتى ممن يسمون أنفسهم بالتقدميين وهم يعلنون عن أنفسهم بصراحة . فبدأ يهاجم كعادتهم ، وكان محور هجومه عمر بن الخطاب . »

« اتفقنا من حوارنا على أن الغرض الأساسى للدين هو علاج الأمراض الاجتماعية ومنها الناحية الاقتصادية . فلا يكون هناك المعدم وصاحب الملايين . قلت إن نظام الزكاة فى الإسلام يحقق ذلك ، فقال : تعال معى لنرى هل أفلح هذا النظام فى عصر من العصور . إن محمداً قد أفلح بدينه فى نقل الناس من حياة العبودية إلى حياة حرة ، فتطلع الناس إلى حقوقهم وأخذوا يدركونها . وفى عصر عمر الذى بلغ فيه الإسلام أوجه ، حدث أنه كان هناك امرأة تطبخ الحصى لعيالها الجياع بجانب رجل يهب لبيت المال عدة ألوف من النوق ... ولا يوجد فى التشريع الضمان الاجتماعى الكافى الذى يمنع حدوث هذا الفارق . وتناولنا الكلام على الضريبة التصاعدية ، فادعى أن الإسلام لا يقر النظام التصاعدى فى الضرائب .. وأن شخصاً مثلى — وغيرى كثير — لم يؤهلهم تعليمهم للرد على هذه الدعاوى وإقناع من يضطربون من الشك من جراء ما ينفثه زملاؤهم التقدميون من آراء فاسدة . . فهلا توليت الجواب على هذه الآراء حتى تهدى الحائر وتخرس الضال .. ولكم منى الشكر ، ولو على قراء هذه الرسالة »

السيد محمد الغزى

معيد بكلية الهندسة : جامعة فاروق

***

والذى نريد أن نبدأ به هو الفصل التام بين أمرين مختلفين يجمع بينهما هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالتقدميين .

الأمر الأول فساد المجتمع الحاضر .

والأمر الثانى أن الشيوعية هى علاج هذا الفساد .

فمهما يكن من مرض زيد من الناس فليس هذا بشهادة طب لكل من يدعى القدرة على علاجه ، ولو كان من المشعوذين

زيد من الناس مريض لا شك فى اشتداد المرض عليه . سلمنا . وذهبنا فى التسليم إلى غاية ما يريدون . ولكن مرضه هذا لا يشهد بالقدرة الطبية لكل من يعالجه ، ولا بصحة الدواء الذى يوصف له فى ذلك العلاج .

هذا شىء ، وهذا شىء آخر ، ولابد من الفصل بين مرض زيد ودعوى الطبيب . لأن الطبيب الجاهل أضر من المرض ، أو أضر من ترك المريض بغير علاج .

والشيوعية لم تثبت قط — نظراً ولا عملا — أنها هى الطبيب الصالح لعلاج الفساد فى المجتمع الحاضر . فقد كلفت

روسيا أكثر من عشرين مليوناً من أبنائها ذهبوا في المجاعات والأوبئة والفتن الأهلية ، وكلفتها حرية أبنائها الذين لا يملكون حق انتقاد الحكومة فيها ، ومضى عليها ثلث قرن من الزمان في تطبيق دائم تعززه القوة الغالبة ، فكانت نهاية المطاف أن روسيا تأخذ بنظام الطبقات وتخشى أن تنكشف للعالم ، فيطلع العالم كله على فشلها ، ولا تزال محتاجة إلى إثارة الفتن في كل بقعة من بقاع الأرض ، لتأمن على نظامها المتصدع الذي تخشى عليه الزوال .

أما أن الغرض الأســـاسي للدين هو علاج الأمراض الاجتماعية ، فهذا غير صحيح .

لأن الأمراض الاجتماعية عارض يتغير من عصر إلى عصر ، ومن بلد إلى بلد ، ومن سلالة بشرية إلى سلالة أخرى .

ولو كان الدين مسألة هذا المجتمع أو ذاك لوجب أن يكون لكل أمة دين ، وأن يتغير هذا الدين في كل عشرين أو ثلاثين سنة ، وهذا غير الواقع الذي نراه .

إنما الدين علاقة بين الإنســان وبين هذا الوجود كله ، أو علاقة بين الموجودات الإنســانية وبين مصدر هذا الوجود .

ما الإنسان ؟ ما مصيره ؟ ما هو رجاؤه في حياته ؟ ما هو قوام الحقائق والأخلاق في ضميره ؟

هذا هو مناط الدين وهذه هي رسالة الدين .

فهو مسألة إنسانية تلازم الإنسان على توالي العصور ، وعلى اختلاف المجتمعات .

ثم يأتي إصلاح المجتمع من طريق إصلاح الضمير .

فإذا صلح الضمير صلح المجتمع من هذا الطريق .

وإذا سلمنا بالتطور فمعنى التطور أن يكون هناك عيب يتبعه كمال ، وأن يكون هناك خطأ يتبعه صواب ، وأن يكون هناك سيء يتبعه حسن ، أو حسن يتبعه ما هو أحسن .

فلا يصح أن يكون النقص دليلا على فساد النظام كله ، لأن التدرج يستلزم وجود النقص في كل طور من الأطوار ، أملا فيما يعقبه من التمام والصلاح .

وليس الصلاح على كل حال هو منع التفاوت بين الناس . لأن التفاوت سنة من سنن الحياة ، بل علامة من علامات الارتقاء في هذه الحياة .

لا تفاوت بين ذرة وذرة من ذرات الجماد .

لا تفاوت بين خلية وخلية من خلايا الجراثيم .

لا تفاوت بين حشرة وحشرة من صغار الحشرات .

ولكن التفاوت يزداد كلما ارتقى الكائن الحي في معارج الحياة ، ولا يزال هذا التفاوت مطرداً حتى يبلغ غايته في الإنسان ، فيصبح الفارق بين إنسان وإنسان كالفارق بين الأرض والسماء تلك هي علامة التطور والارتقاء .

ومع هـذا التفاوت الذي يلازم الارتقاء ، لا معنى لإلغاء التفاوت في المراكز والأرزاق .

نعم إن المساواة واجبة في الحقوق ، ولكن هذه المساواة لا ينبغي بحال من الأحوال أن تكون مساواة بين حق المجتهد وحق الكسلان .

لأن المساواة بين المجتهد والكسلان تجني على الكسالى أنفسهم قبل جنايتها على المجتهدين .

فالحياة كلها حافز واستجابة Stimulus and Response

وليس في الحوافز البشرية حافز أقوى من حافز الخوف من عاقبة الكسل والإهمال ، إذا رأى الناس أن الكسل والإهمال يحرمان صاحبهما حظه من الرزق والطمأنينة .

فإذا زال هذا الحافز زال الباعث على التقدم والنشاط واستخدام القوة الكامنة في كل بنية حية ، وانحدر الإنسان إلى حضيض الحيوان

وإذا حدث هذا فالبلية فيه أعظم جداً من بلية آحاد من الناس يطبخون الحصى في وقت من الأوقات ، لأنها بلية تحيط بالطبيعة البشرية كلها وتقضي على جميع حوافز الحياة .

وإذا كان التاريخ يروي لنا اليوم أن امرأة في عهد عمر ابن الخطاب كانت تطبخ الحصى فأنقذها عمر ، فالفضل في ذلك للنظام الذي جعل هذا الحادث مثلا يروى في التاريخ ، ولم يطمسه بغشاوة الظلم والكتمان كما تنطمس اليوم ألوف الشكايات في مجاهل سيبريا ، وفي ظلمات السجون ، وفي حنايا القبور ، فلا يعلم بها أحد من الناس في ساعتها ، فضلا عن علمه بها بعد مئات السنين .

أما حديث صاحبك عن الضريبة التصاعدية في الإسلام فهو

سياسة الصهيونيين المالية ونذالتهم

للأستــاذ نقولا الحداد

أسأل الأستاذ لطيف مختار من بغـداد ، و « العاصف » (المهذب) المجهول العنوان ، والفتى الأديب حسن من المنصورة ؛ هؤلاء الذين لاموني فيما كتبت عن اليهود والتلمود والبروتوكولات الصهيونية — أسألهم : هل بلغ إليهم ما فعله الصهيونيون في بلدة دير يسين غربي القدس ، وفي بلدة ناصر الدين قرب طبرية وغيرهما من التقطيع بالأجنة في الأرحام والرضّع على الصدور والأطفال في الأحضان ، ومصونات النساء في الخدور ، والشيوخ الضعفاء العزل من السـلاح ، وما فعلوه في قرى أخرى حيث لا توجد حامية من الرجال للدفاع ضد قوة صهيونية تفوقها عدداً وعـدداً خمسين مرة ؟

هل عرف أولئك الذين لاموني فيما كتبت أن هؤلاء الصهيونيين الذين قرّع بهم العالم في الجرائد والبرلمانات لأجل هذه الفظاعات يستهزئون بهذا التقريع ويفتخرون بهذه النذالة .

وهل يعلم الذين لاموني أن هذه هي أخلاق اليهود « يتمرجلون » على الأطفال والنساء ، ولكنهم أمام أبطال العرب يفرون فرار الأرانب والفئران ، وأنهم في معاملاتهم حيث تقوم قوة الحق لسحق الباطل يكونون كما قال القرآن الشريف : « ضُربت عليهم الذلة والمسكنة » .

هؤلاء هم الذين رأيناهم يتشكون بالضعفاء ، ولكنهم يخرون ساجدين أمام الرجال الأبطال . لماذا نطلب منهم المروءة والإنسانية؟ أعرب هم ؟ هذه أخلاق العرب . العرب ينذرون أهل القرية قبل ضربها لكي يخرج منها النساء والأطفال(١) .

لله ما أشرف النمور والفهود والذئاب ، وما أحنّ الهررة وأرق قلوب الكلاب .

وهل علم الذين لاموني أن حاخام اليهود في فلسطين (حاكمهم

---

(١) وفي مظاهرة في بيروت احتجاجاً على فظائع اليهود أحاط الجنود بالحي اليهودي لكي يحموا اليهود من غضبة الشعب . هكذا يرد العرب على نذالة اليهود .

حديث خرافة ، لأن ولي الأمر في الإسلام — مع قيام الشورى في حكومته — يستطيع أن يفرض ما يشاء ، كما اقتضته مصلحة المجموع .

***

ولضربية عمر في أعناقنا بقية على ما يظهر .

فقد جاءنا أيضاً هذا السؤال عن عمر بن الخطاب من الأديب صاحب الإمضاء . قال :

« ... في كتابكم عبقرية عمر أنه رضي الله عنه أوصى بوضع قواعد النحو ، بينما يقول أستاذنا الفاضل بأن الذي أوصى بوضعها هو علي بن أبي طالب ... فهلا تفضلتم بشرح هـذا الاختلاف ؟ ...

أحمد كمال الدين الفرايلي

طالب بمدرسة العروة الوثقى الثانوية بالإسكندرية

وجوابنا للطالب الأديب أننا اعتمدنا فيما كتبناه على مسند عمر في الجامع الكبير حيث قال أبو مليكة : « قدم أعرابي في زمان عمر رضي الله عنه فقال : من يقرئني مما أنزل على محمد ؟ فأقرأه رجل (براءة) فقال : « إن الله برئ من المشركين ورسوله » بكسر اللام في رسوله . فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبرأ منه . فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه . فقال : يا أعرابي ! أتبرأ من رسول الله ؟ فروى له القصة . فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي . قال فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن الله برئ من المشركين ورسولُه . فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه . فأمر عمر رضي الله عنه ألا يقرئ الناسَ إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود فوضع النحو » .

وهذه رواية يصح التعويل عليها ، وقد ثبت على كل حال أن الفاروق رضي الله عنه كان ينكر بعض اللحن في كلام معاصريه ، ويوصي بحفظ عيون الكلام لتمكين ملكة الفصاحة وتقويم اللسان .

عباس محمود العقاد

أو حكيمهم) بعث برسالة إلى جلالة الملك عبد الله يدعى أنه استفظع هذه الفظائع التي فظَّعها اليهود والهاجاناه . لما ذا يبعث الرسالة لجلالة الملك عبدالله وحده ؟ هل هناك سر سيظهر بعدئذ ؟ ونظن أن جلالة الملك عبد الله أجابه : إن كنت لا تستطيع أن تمنع هذه الفظائع فاستعفِ من منصبك وأنت زعيم المنظمين ، وإن كنت لا تتحمل حقيقة وقر هذه النذالة فاذهب إلى مغارة في جبل نبو جنوبي أورشليم حيث دفن النبي أرميا تابوت العهد المحتوى على اللوحين الحجريين اللذين كتب الله بأصبعه عليهما وصاياه ؛ واسمع هناك صوت الله « لا تقتل » ، واستغفر الله عن شعبك إن كان الله يقبل الاستغفار .

هؤلاء هم الذين إذا لامهم أحد لفظائعهم قالوا : « هي حرب إبادة » . ولكنهم يجهلون أنهم يبيدون عن بكرة أبيهم قبل أن تبيد كتيبة من العرب . لله ما أجهلهم !

هؤلاء أيها العاذلون هم اليهود الذين يريدون أن ينشئوا دولة يهودية في فلسطين تكون دولة الدول الصهيونية التي تضع تحت أقدامها جميع دول العالم . هؤلاء أيها اللاحون هم الذين يجب أن نجاورهم ونعيش بين ظهرانيهم عبيداً أذلاء إذا نجحوا .

هؤلاء هم شعب الله المختار الذي يقول إن الجوييم غير اليهود من جميع الأمم هم بهائم .

هؤلاء هم الذين أشفقتم عليهم من قلمي وما علمتم أن قلمي ليس إلا فاضحاً برامجهم ومواثيقهم السرية ، وليست أعمالهم إلا تطبيقاً لمواثيقهم — بروتوكولاتهم . وإليك فصلا من مواثيقهم عن سياستهم المالية :

العمل ورأس المال — الميثاق السادس :

البند الأول : يجب أن ننشيء في أول فرصة احتكارات ومخازن (مصارف) احتياطية للثروات الضخمة تتوقف عليها ثروات الجوييم (الناس الذين ليسوا يهوداً) إلى أن تهبط هذه إلى القعر مع اعتمادات الحكومة على أثر الهبوط السياسي (بمعنى أن تضمحل هذه الثروات متى حصل انقلاب سياسي خطير) .

بند ٣ — يجب أن نعظم أهمية حكومتنا العليا بكل طريقة بحيث تكون ممثلة لحماية جميع الذين يخضعون طواعية لنا ولمصالحهم (لأن هؤلاء أصبحوا في يدنا نتصرف بهم كيف نشاء) .

بند ٤ — ستكون قوة أرستقراطية الجوييم قد ماتت (تجاه قوة المال طبعاً) فلا ينبغي أن نحسب لها حساباً ، وإنما يجب أن نحسب حساب أصحاب الأملاك منهم ؛ لأنهم يظلون ضارّين لنا بمعنى أنهم يعتمدون عليها في مصادر أرزاقهم (فلا يحتاجون إلينا) ، ولذلك يجب أن نبذل كل جهد في أن نجردهم من أملاكهم بأن نسعى إلى فرض الضرائب الثقيلة على هذه الأملاك وتحملها الديون الباهظة ، وهذا التدبير يضعف عمليات الامتلاك ، ويقلل الميل إلى التملك ، وبالتالي يجعل الملاك خاضعين لنا بلا قيد ولا شرط .

(ولهم طرق أخرى في تجريد الناس من أملاكهم وأموالهم منها أن يسلطوا عليهم نساءهم في أندية الدعارة كما كانوا يفعلون في فلسطين وغيرها . يشترون الأملاك من أصحابها بالأثمان الباهظة والنساء يستردن هذه الأموال بثمن لا قيمة له عندهن ولا عند رجالهن ، وما هذا بالأمر المنكر عندهم كما ذكرنا في البند ٢٣ من الميثاق الأول في مقال سابق) .

بند ٥ — ولما كان الأعيان من الجوييم بحكم الإرث الطبيعي والاجتماعي لا يكتفون بالقليل في إشباع شهواتهم فإذا عزّ الكثير عليهم يتحرقون ويطيرون شعاعاً (لاريب أن الصهيونيين مصيبون في هذه الفلسفة . فليس للأعيان صبر على الضنك كما لليهود)

بند ٦ — في نفس الوقت يجب أن نسيطر بكل جهدنا على التجارة والصناعة جميعاً ونجعلها تحت إرادتنا وإدارتنا . وإنما قبل كل شيء يجب أن ندير دفة المضاربات التي تلعب الدور الخطير في تهيئة الموازنة بينهما (أي في خضوع الصناعة لنظام المضاربات) لأن عدم دخول الصناعة إلى دار المضاربات يضاعف رؤوس الأموال في أيدي الخاصة ويساعد على تقوية الزراعة بتحرير الأرض من عبء الديونة لبنوك الأراضي (وهذا أمر مناقض لمطامعهم في السيطرة) ، والذي نبتغيه هو أن الصناعة يجب أن تستنزف من الأرض قوة العمل ورأس المال بواسطة المضاربات ، وهذه

تسرب إلى أيدينا جميع أموال العالم ، وحينئذ تنزل الجوييم إلى درجة العمال ، وتمت يخر الجوييم ساجدين لنا رغم أنوفهم وإلا فلا يستطيعون أن يعيشوا .

(فترى مما تقدم اللعبة الشيطانية فى استنزاف الأموال بواسطة المضاربات المختلفة . ولهم طرق أخرى أسلها كاليانصيب على اختلاف أنواعه ، والتأمينات والمراهنات المتنوعة كالسباق وصيد الحمام وأشكال القمار ونحو ذلك . كل هذه من اختراعاتهم)

بند ٧ — ولـكى يتم هدم الصناعة عند الجوييم يجب أن يُساعد فعل المضاربات بفعل الترف الذى نشرناه بين الجوييم . لأن الترف يلتهم منهم كل شىء (المال والشرف والوطنية الخ) فيجب أن نرفع الأجور والماهيات ، فإن هذه لا تنفع العمال النفع الذى يتصورونه ؛ لأننا فى الوقت نفسه نرفع أسعار الحاجيات زاعمين أن ارتفاع الأسعار نشأ من انحطاط نتاج الزراعة والمواشى . ويجب أن نزعزع ما أمكن مصادر الإنتاج بأن نعوّد العمال على الفوضى والاعتصاب والإضراب وإدمان المسكرات ، وإلى جنب ذلك نبذل كل جهد فى أن نستأصل عن وجه الأرض جميع قوى الثقافة عند الجوييم .

(هل يمكن إبليس الرجيم أن يستنبط وسائل للهدم والتدمير أقوى من هـذه ؟ إن هؤلاء الحكماء الصهيونيين هم أساتذة الأبالسة) .

البند ٨ — ولـكيلا يفطن الجوييم إلى مقاصدنا هذه قبل مجىء الوقت الملائم لإعلان دولتنا يجب أن نوهمهم بأننا راغبون رغبة صادقة فى خدمة طبقات العمال وتقويم المبدأ الأساسى للاقتصاد السياسى الذى نسدد إليه ومنه جميع أنواع دعايتنا .

(أترى كيف أنهم يعملون أعمالهم الخبيثة من وراء ستار الأعمال الصالحة ؟) .

الميثاق التاسع :

بند ٢ — إن كلمات السر — الحرية والإخاء والمساواة — التى وضعناها نحن للماسونية لـكى تظهر جمعية صالحة يجب أن تتغير متى تـكونت مماـكتنا إلى هـذا التعبير : — حق الحرية وواجب المساواة ونظرية الإخاء — هكذا يجب أن نصوغها ، وبها نمسك الثور من قرنيه ، ونـكون قد نقضنا بالفعل كل حكم ما عدا حكمنا ، وإن بقى بعض الأحكام السابقة قائماً فلا يكون نافذاً نفوذاً خطير الشأن . وإذا احتجت أية حكومة علينا فيكون احتجاجها صورياً فقط .

بند ٣ — لا يمكن أن تقوم موانع تحـدد نشاطنا . إن حكومتنا العليا تقوم فى الأحوال والظروف غير الشرعية فتوصف بالدكتاتورية القوية المستبدة التى تنفذ رغائبها بالقوة القاهرة (إلى أن يقول الرئيس) : أنى فى موقف يسمح لى أن أخبركم بضمير صاف إننا نحن الذين نسن القوانين يمكننا فى بعض الأوقات المناسبة أن نتسامح فى القضاء والأحكام ؛ فنذبح من نذبح ونعفو عمن نشاء ، ونحن كزعماء لجماعاتنا نمتطى جواد القيادة ونحكم بقوة الإرادة المطلقة ؛ لأن فى أيدينا شراذم الأفراد الذين كانوا قبلاً الحزب القوى ، وقد انتصرنا عليهم ، والسلاح الذى فى أيدينا هو المطامع الأشعبية التى لا حدّ لها والجشع النارى ، والنقمة بلا رحمة ، والبغض والحقد الشديدين (نعوذ بالله . هـذا هو عين ما نراه فى سلوك هؤلاء القوم مطابقاً لهذا البند) .

بند ٤ — منا نحن يصدر الذعر الشامل (كذا بكل قحة) فى خدمتنا أشخاص لهم جميع صنوف الآراء والمبادىء والتعاليم من فوضويين ودعاة واشتراكيين وشيوعيين وحالمين بالمماـكة الطوباوية utopia على أشكالها المختلفة . لقد ألقينا على رقابهم نير العمل لغرضنا . كل واحد منهم حامل على حسابه الخاص البقية الباقية من الحكم القديم لـكى يطرحها فى الهاوية ، وبهذه الأفعال نرى جميع الحـكومات فى عناء وشدة ، وكل منها تجتهد أن تنجو من هذه الشدة بأية تضحية ، ولـكننا لا نمنحهم السلام والراحة ما لم يعترفوا بحكومتنا الدولية العليـا ، وبخضوعهم المطلق لها .

بند ٦ — لقد ضجت الشعوب بوجوب تقرير أمر الاشتراكية فى اتفاق عام فى مؤتمر دولى ، ولـكن انقسامهم إلى أحزاب مختلفة دفعهم إلى أيدينا لأنهم لا يقدرون أن ينفذوا خطة لهذا النزاع إذا لم تكن عندهم أموال للنفقة ، والأموال فى يدنا .

(هكذا يستندون إلى المال فى كل مكيدة يكيدونها) .

بند ٧ — يمكن أن نظن أن يتوصل ملوك الجوييم العقلاء البعيدو النظر إلى اتحاد عام (كالجامعة العربية مثلا) ولقاء هذا الاتحاد تنفمس قوة الغوغاء فى هياج أعمى ؛ ولـكننا قد احتفظنا

لكل حادث من هذا القبيل، فقد أقمنا بين القوتين متراساً بشكل رعب متبادل بينهما (قوة الجند من جهة وثورة الرعاع من جهة أخرى). بهذه الطريقة تبقى قوة الشعب العمياء سنداً لنا. ونحن وحدنا نجهزها بقائد، وبالتالي ندربها في الطريق الذي يؤدي إلى هدفنا.

(لا تستغرب إذا قيل لك إن معظم الحروب والثورات، ولا سيما الأخيرة منها نشأت من جراء مكايد صهيونية).

بند ١٣ — (يقول الزعيم القائم في مؤتمر الحكماء الشيوخ)

قد يلوح لكم أن الجوييم يقومون علينا في يوم من الأيام إذا أحسوا بما هو جار من استعداداتنا قبل أن يحين الوقت الملائم لإعلان حكومتنا. أجل. ولكن عندنا في الغرب ضد ثوراتهم مناورات رهيبة تتصدع فيها القلوب الحديدية — المخابئ الخفية والسكك الحديدية تحت الأرض إلى غير ذلك من السراديب تمتد قبل مجيء الوقت المنتظر تحت العواصم والحواضر. فمن تحت الأرض تنسف هذه العواصم والمدن فتنتفض في الهواء وتنذر كل أنظمتهم وسجلاتهم الخ. وفي مقال قادم خطتهم في الصحافة.

نقولا الحداد

مشاهدات مسافر:

ألمانيا بعد الحرب

للدكتور محمد سامي الدهان

أجل أعود من جديد إلى هذا البلد الواسع الكبير، يحفزني أمران؛ فأنا أسعى في جمع تراثنا المخطوط من مكتبات ألمانيا المتفرقة في غنى، الموزعة في نظام. وأنا أسعى كذلك في أن أتعرف إلى الأساليب الحديثة في كل شيء: في المعرفة والحياة ...

كان علي أن أسجل «القديم» وأن أرسمه حيث كانت ألمانيا أمة تهتز لذكرها أمم، فيهم من يرى عندها المثل الأعلى والغاية القصوى، وفيهم من يكفر بحضارتها ويطيل في ذمها. كان علي أن أسجل هذه الزيارة الطويلة الواسعة من أقصى حدود الراين، ببطاحه ونجوده، حتى برلين؛ ومن هذه العاصمة حتى ليبزغ ومونيخ ونورنبرغ، فالغابة السوداء وتوبنيكن ونهر الراين؛ في شهور عصيبة من عام ١٩٣٨، والعالم يضع أبواباً لحدوده ويخترع الأقفال من ورائها؛ فكان لأنباء الحرب هلع في القلوب وجزع في النفوس ونار في الرماد، وهمم تتوثب، ودنيا ترجف، وآمال تبنى، وأمان تتهدم. كان علي أن أصف كيف كانت تخوض ألمانيا حرب الأعصاب في الدعاية لجنسها والاستجابة لعرقها والجمع لشملها. وكنت وأنا أعبر الحدود البلجيكية الألمانية أقرأ في صحف باريس أن القوم أعلنوا التجنيد وجمعوا الصفوف وأنهم على أبواب حرب، وقد أقسموا أن يقفوا بين رغبة ألمانيا واستلاب السودت.

وما من شرقي عربي يستطيع أن ينزل من القطار عشرات المرات، وأن يلبس القناع الواقي عشرات المرات، وأن يتمرن في سفره على الاستعداد مع القوم لحرب عصيبة، فلا يهتز له جنان، ولا يخفق له قلب! فقد تمثلت الحرب عن الأدب، وجربت النضال عن الكتب، فلست أفهم فتاة تحرس النفق، وامرأة تفتش المارة، وأخرى تحمل السلاح. ولست أفهم كيف يؤمن عشرات من الملايين بالحرب في القرن العشرين، يتقدمون إلى النار في ثغور باسمة وقلوب هادئة، لا يسمعون إلا لصوت واحد في زحمة الأصوات، ولا يلتفتون إلا لنداء واحد في جلبة النداءات.

كان علي أن أصف ما شهدت من اجتماع برلين، وما سمعت من الأقطاب الأربعة من خطب مونيخ، وما كان فيهما من تأخير الحرب عاماً كاملا. ولكن هذا كله غدا في التاريخ، وانطوى في الحقب، وتحدث عنه الناس فأكثروا، ووصفه الكاتبون الغربيون فأسهبوا. ولعل لي رجعة إليه حين يحلو الكلام فيه.

أما الآن، وقد هدأ غبار المعركة الصاخبة، وسكنت ثورة العاصفة الجامحة، فقد أحببت أن أعود من جديد إلى هذا البلد القديم لأرى القوم في حال غير الحال ودنيا غير الدنيا.

ولن يكون السفر عن سبيل سفارة ألمانية وقنصلية جرمانية، فقد تولى الحلفاء الأربعة في كل عاصمة منح الإذن لمن له أن يطلب المرور. وفي باريس على مقربة من ساحة «التروكاديرو» شارع ضيق طويل على البناء الأوسط كتابة عريضة تعلن عن موقع «مصلحة الأمور الألمانية والنمسوية». فإذا دخلت فسترى الضابط الإنكليزي والأميركي والفرنسي يتجاورون في غرفة واحدة ويتحاورون في لغة واحدة، تنتقل من مكتب إلى مكتب، وأنت تتقلب بين شارات ونجوم فلا تجد أثراً للسلطة الرابعة، لأنك

تستطيع أن تقصد إلى أية منطقة إلا البلاد الحرام ؛ حيث ركز الروس أعلامهم ، وبسط السوفيت ظلالهم . وإذا كنت تلح فى الزيارة فاذهب إلى برلين وهناك تستشير من بيدهم الحل ، فيمنحون الأذن أو يحرمون ..

يا لله ما أعجب الدنيا تتبدل فى أعوام عشرة فكأنها ما كانت ، وتتغير فى سنين فكأنها ما وجدت ، يزورها المرء وهى بستان جامع وهضاب نضرة وبلدان عامرة ثم يعود إليها فإذا هى جرداء قائمة وأكوام من أحجار حتى ليخيل إليه أنه يزور بلاداً أصابتها الزلازل ، أو انهارت عليها البراكين ، أو تقادمت عليها القرون ومسحت عليها العصور ، فيحسب أنه يزور مدينة أثرية يتلمس فى جنباتها التاريخ ويقرأ من خرائبها العبر . ذلك أول شعور يمس المرء حين يجتاز نهر « الراين » ، ويعبر الحدود . بل لعله وهو يتنقل فى قطار نخم من دبوع الالزاس يكذب الخارطة بين يديه ويتهم نفسه بالجهل بالجغرافية فلا المعالم معالم ولا الحدود حدود .

واستقبلنا على الحدود جنود ألمانيون فى لباس نازى قديم بال لأنهم لا يملكون سواه ، وأقبلوا يفتشون الحقائب ، فما ينفكون يفتحونها ويغلقونها ، فيفتحون عيونهم للمنظر الجميل من مأكل لم يعرفوا طعمه منذ حين ، ولباس لم يعرفوا لبسه منذ أمد ، ثم يطبقون العيون على قذى ويشكرون المسافر ، ويحيلونه إلى السلطة المحتلة ، فتوزعه السلطة فى قطار من القطرات . ولن يشكو المسافر من القطار الذى يحمله والثمن الذى يدفعه ، فله الدرجة الأولى والثانية ، يمرح فيهما كما يشاء . وفى الثالثة سكان البلاد يتكدسون وقوفاً ، ويتملقون بأطراف القطر وسلالها ، كما يتملق غلمان القاهرة بأطراف حافلات الترام سواء بسواء . وسيعجب الأجنبى للألمانى كيف يحيا اليوم ، فهو يقتطع الخبز الأسود الكبير لقمة بعد لقمة هى كل غذائه الذى رأيته فى يومين اثنين من رحيل القطار ، ورى مناظر لا تصدقها عيناه . هذه امرأة مرضع نامت على جدار القطار وهى تحتضن وليدها ، وهذا شيخ سكت رفاقه عن استبداده فى الجلوس بالممر فنام جالساً ؛ وهذا شاب بلغ المحطة التى إليها يقصد وهو يعرف أنه بلغها لكن القوة خانته والجوع خذله فاله حيلة فى قيام ولا قعود ، فآثر البقاء ، وما ينتظر القطار الجياع ! ...

أما أنا فقد تعبت من مشاهد البشر ، وعدت إلى مكانى من العربة أتعلق بالطبيعة فهى أم رءوم وحسناء وفية ، أمتع النظر بالغابة السوداء ونحن نجتازها ، نمر بين صفوف من أشجار كثيفة عالية ، وقد شق القطار طريقه بينها ، متلوياً فى سحر لا ينسى وفتنة لا تزول ، هى كل زاد المسافر فى ألمانيا اليوم .

فلما أظلم الليل انتشلنى النوم انتشالاً وما أيقظنى إلا صوت هذه الجموع الغفيرة فى المحطات ، فظننت أنه العيد ، فنحن فى يوم أحد ، وقد عرفت الألمانيين من قبل يعدون للأعياد عدتها والآحاد فرصتها ، فهم يرحلون من قرية إلى قرية لا يستقرون ولا يقيمون ، يتنقلون فى جمال الطبيعة ، يقطفون ثمرة الأسبوع ، ينتجعون مواقع الزهر والعطر ، والجبل المشرف ، والنهر المغنى ، ولكن رفيقى فى السفر أفهمنى أن الألمانى يسافر إلى الريف يوم الأحد من كل أسبوع فى اصطياد البطاطس وانتشالها من التراب ، فالأرض أم لا تؤمن بمذهب ، ولا تدين بسياسة ، والبطاطس بعض الغذاء قبل الحرب وكل الغذاء بعد النكبة ؛ فلا بأس فى أن يعد الألمانى أكياساً واسعة يجمع فيها كل ما تصل إليه يده فى السوق السوداء طعاماً لأسبوعه .

بلغنا محطة توبنكن ، فنزلت بين هذه الجموع المتراصة التى كانت ترقب القطار منذ الليل ، فأخذت سبيلى فى يسر غريب ؛ ذلك لأن للأجنبى سبيلا غير سبيل المواطن . غير أن العسر كل العسر فى أن تجد من يحمل الحقائب إلى المنزل ؛ فقد طفقت أبحث فى المحطة عمن يحملها وكنت أظنهم كثيرين لرداءة اللباس وفقر المظهر ، فلم يقبل على منهم أحد ، فلما أقبلت عليهم أعرضوا جميعاً ، ولما لجأت إلى تفسير وشرح ، وجدت من يرضى بلفائف التبغ جزاء ؛ فهى وحدها الرائجة وهى وحدها العملة النادرة .

وأخذت سبيلى إلى المنزل ماشياً ، فليس من عربات أو سيارات ولن أطمع فيها بعد الذى رأيت .

وعزفت عن التفكير إلا فيما جئت له ؛ فأنا أزور ثالث مدينة جامعية على « الراين » بعد بون وهايدلبرغ ، بل هى تمتاز عنهما بأنها من مهود الاستشراق ، ففيها ما ليس فى الجامعتين من مخطوطات عربية نفيسة ، ففيها المتنبى وأبو فراس وابن وحشية ، وفيها ليتمان و « بور » وفايشايلر من مشاهير المستعربين فلا أقل من أن أقيم أياماً أستعيد بين القدامى والمحدثين ذكرى عاطرة ؛ وأقوم بالتحية الطيبة قبل أن أرحل إلى الدير ...

سامى الدهان

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو العينـــــاء

١٩١ - ٢٨٣ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

— ٥ —

عرفنا أسلوب أبي العيناء مع الخلفاء والأمراء والوزراء ، فما رأيناه مع أحد منهم إلا صريحاً ؛ فلا يستغرب بعد ذلك إذا أفاض في مداعباته كل الإفاضة مع الطبقتين الوسطى والدنيا ، لأن معارفه فيهما كانوا كثيرين ، وكان — بحكم الصداقة — أشد رغبة في التفلت من كل كلفة ، وأكثر طواعية في الإقبال على كل ما يدخل السلوى على محبيه .

ولابد من الإشارة إلى تلك العلاقة القوية التي توطدت بينه وبين الجاحظ : فقد كانا صديقين لا كلفة بينهما ، بل قد اشتركا سوياً في وضع حديث « فدك » كما يعرف المشتغلون بعلم الحديث . وخلاصة هذا الحديث أن السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم طالبت بعد وفاته بنصيبها مما ترك ، وأنها بكت وأبكت لتصل إلى ما تبغى . والحديث باطل من أساسه كما اعترف أبو العيناء بذلك حين قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك » وقال إسماعيل بن محمد النحوي : « كان أبو العيناء يحدث بذلك بعد ما مات الجاحظ »(١) . وقد ذكره ابن حجر في (الموضوعات)

وإن علاقة بين اثنين تسمح لهما بوضع حديث مشترك لهي علاقة متينة لحمتها التفاهم وسداها الانسجام : فلا بدع إذا رأينا الجاحظ يسلك في مداعبة أبي العيناء سبيلا لا يسلكه إلا الأحبة ، ويقابله الآخر برضا وارتياح . والقصة التالية تلقى ضوءاً على نوع الصداقة التي استحكمت عراها بين الرجلين .

قال أبو العيناء : « كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل ، وأحببت أن يكون معي إليه وسيلة ، وقد سألت مَن صديقه ؟ فقيل لي : أبو عثمان الجاحظ — وهو صديقك — فأحب أن تأخذ لي كتابة إليه بالعناية ؛ فصرت إلى الجاحظ فقال لي : في أي شيء جاء أبوعبدالله ؟فقلت : مسلّماً وقاضياً للحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا . فقال : لا تشغلنا الساعة عن الحادثة وتعرف أخبارنا … إذا كان في غد وجّهت إليك بهذا الكتاب ، فلما كان من الغد وجّه إلى بالكتاب ، فقلت لابني : وجّه بهذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته . فقال لي : إن أبا عثمان بعيد النور ، فينبغي أن نفضه وننظر ما فيه . ففعل فإذا فيه : كتابي إليك مع من لا أعرفه ، فقد كلمني فيه من أوجب حقه ؛ فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك . فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري . فقال : يا أبا عبدالله قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب . فقلت : أو ليس موضع نكرة ؟ فقال : لا ، هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتنى به . فقلت : لا إله إلا الله ما رأيت أحداً أعلم بطبعك ولا بما جبلت عليه من هذا الرجل … علمت أنه لما قرأ الكتاب قال أمّ الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف ، أم من يسأله حاجة . فقلت : ياهذا تشتم صديقنا ؟ فقال : هذه علامتي فيمن أشكره ! »(١)

ولم يكن الجاحظ يكتفي بمداعبته أبي العيناء على هذا النمط فإنه كان أحياناً ما يعذبه واجداً في تعذيبه ارتياحاً غامضاً في نفسه « كان الجاحظ يتقلد في خلافة إبراهيم بن العباس على ديوان الرسائل ، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو العيناء . فلما أراد أن يخرج من عنده تقدم إلى من يحجبه أن لا يدعه يخرج ولا يدعه يرجع إليه إن أراد الرجوع . فخرج أبو العيناء يريد الانصراف فمنع من الخروج ومن الرجوع إلى الجاحظ ، فنادى أبو العيناء بأعلى صوته : يا أبا عثمان قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك ! »(٢)

ومثل هذا النمط من التعذيب في المداعبة كثيراً ما نجده بين المتفاهمين من الأصدقاء . وكان من أشد هؤلاء صلة بأبي العيناء محمد بن مكرم والعباس بن رستم اللذان سئل عنهما مرة فقال : هما الخمر والميسر ، إثمهما أكبر من نفعهما . وأكبر الظن أن صلته بابن مكرم كانت أقوى ، لأن مداعباته له كثيرة مشهورة .

(١) لسان الميزان ص ٣٠٦ ج ٥

(١) تاريخ بغداد ص ١٧٥ ج ٣

(٢) المرجع السابق ص ١٧٨ ج ٣

وابن مكرم كان من هذا النوع من الأصدقاء الذى يحب أن يجد السرور لنفسه ولو بالتهكم على صديقه — وما أكثرهم فى كل زمان ومكان — وكان يرى فى عمى أبى العيناء فرصة لإيذائه لا رغبة فى الإيذاء نفسه فلا حاجة به إليه ، ولكن ليستمتع بردود أبى العيناء المبتكرة ، وأجوبته اللاذعة .

حضره يوماً وأخذ يؤذيه ثم قال : الساعة والله أنصرف فقال أبو العيناء : ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك !

وقال له يوماً يعرض بالبلد الذى نشأ فيه : كم عدد المكدين (المتسولين) بالبصرة ؟ قال : مثل عدد البنائين ببغداد . فأجابه بأشد من تعريضه .

وأبو العيناء فى طرائفه مع ابن مكرم يسعى إلى إيلامه برده ، بمقدار تألمه من هزله وجده ، وهو إذا أراد أن يرسل الجواب لا يمنعه منه مانع ، ولا يصده عنا صاد ، لأنه يرى أن الحرية فى الدفاع أجدر من الحرية فى الهجوم !

ومهما اختلف الباحثون فى تحليل نفسية هذا الظريف فستحملهم النصوص الكثيرة على الاتفاق على رقة دينه ، إذ كان يتعرض للدين فى مختلف المناسبات غامزاً لا يعبأ ولا يبالى . قال له العباس بن رستم يوماً : « أنا أكفر منك . فقال له : لأنك تكفر ومعك خفير مثل عبيد الله بن يحيي وابن أبى دؤاد وأنا أكفر بلا خفارة » .

وأنا لا أصدق أن هذا من التظرف فى شىء ، إذ ما كان ليعترف بأنه يكفر بلا خفارة إلا لرقة دينه ، وإن قوى الدين لا تسمح له نفسه أن يتظرف بشىء يتنافى مع الأدب فى اعتقاده ، بل يرى أن كل شىء يباح له الخوض فيه إلا الدين ، فإن له حرمة لا يحل مسها لمخلوق . أما صاحبنا فيرى من الظرف والكياسة أن يتظاهر بمخالفة الدين . قال مرة : « أنا أول من أظهر العقوق بالبصرة . قال لى أبى : يا بنى ، إن الله تعالى قرن طاعته بطاعتى ، فقال : « اشكرلى ولوالديك » فقلت له : يا أبت إن الله ائتمننى عليك ولم يأتمنك علىّ ، فقال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق » .

وقد كتب أبو العيناء إلى صديق له ولى ولاية موعظة عجيبة أعتبرها وثيقة على ضعف دينه . واقرأ إذا شئت ما كتب « أما بعد فإنى لا أعظك بموعظة الله لأنك عنها غنى ، ولا أخوفك إياه لأنك أعلم به منى ، ولكنى أقول كما قال الأول :

أحار ابن بدر قد وليت ولاية ... فكن جرذاً منها تخون وتسرق
وكاثر تميما بالغنى إنما الغنى ... لسان به المرء الهيوبة ينطق

واعلم أن الخيانة فطنة ، والأمانة حرفة ، والجمع كيس ، والمنع صرامة ؛ وليس كل يوم ولاية ، فاذكر أيام العطلة . ولا تحقرن صغيراً ، فإن من الذود إلى الذود ، وإبلاء الولاية رقدة ؛ فتنبه قبل أن تنبه . وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر . وما هذه الوصية التى أوصى بها يعقوب بنيه ؛ ولكن رأيت الحزم فى أخذ العاجل ، وترك الآجل » .

وهكذا خلط أبو العيناء فى هذه الموعظة العجيب أسلوبها كثيراً من الهزل فى الجد ، فما أحب لصاحبه الأمانة لأنها حرفة الخازنين ، ولا كره لصاحبه الخيانة لأنها فطنة وذكاء ، وما أحب له أن يجود بماله لأن فى المنع صرامة وحزماً ، ولا كره له أن يجمع القناطير المقنطرة لأن فى كنزها أبهة وفخراً . فلينتهز فرصة ولايته فإنها لا تسنح دائماً ، وليكسب ما استطاع من الغنائم ليكون حكيما حازماً ، وليضم الصغير مع الكبير ، وليلق القليل على الكثير ، وليجمع الفتيل والقطمير ، وليفتح عينيه على كل شىء دق أو جل ، فربما تعطل بعد عمل ، وربما أفل نجمه بعد أمل . أما الآخرة فنعيمها آجل بعيد ، أين منه نعيم الدنيا القريب ؟

أفرأيت أعجب من هذه الموعظة ، وأغرب من هذه الوصية ؟

أما إنها — على مسحة الهزل فيها — لدعوة صارخة إلى اجتياز حدود الدين التى تضع سداً بين واجب الإنسان وطمعه ، وبين مسئوليته وجشعه ، وتسلك به سبيل الزهد عن ظهر غنى ، والعفاف على قوة وقدرة . فما كان أضعف دينك يا أبا العيناء ! وما كان أشد تساهلك أيها الراوية الظريف !! ...

— ٦ —

وإذا أضفنا إلى انحلال تدينه سفاهة لسانه بعايبه وهجيراه أصبح واضحاً لدينا أنه كان متهالكا على إرضاء هواه وإشباع شهوته ، وأنه ما كان ليتورع عن الخروج على أصلح التقاليد بنفسه بعد أن خرج عليها بتعبير لسانه ، لأن عفيف النفس يأبى

على ألفاظه أن تكون نابية ؛ أما وقد ترك صاحبنا نفسه على سجيتها فلابدع إذا كان خبيث اللسان؛ ثم لاغرو إذا كان خبيث العمل، ثم لا عجب إذا وصمه الناس بأنه مخنث ، حتى قال له ابن الجهم يوماً : يا مخنث ! فأجاب : « وضرَب لنا مثلاً ونسيَ خلقه » .

ولا يعنيني هنا أن أستمتع برده فما أنتظر من مثله غيره أو أقل منه ، ولكني أشير إلى أن للناس فيما أطلقوا عليه من أوصاف ما جرائم من أعماله وتصرفاته . وهذا — على ما أعتقد — من الأسباب الجوهرية التي جعلت حفاظ الحديث يحكمون بضعف ما رواه هذا الظريف ، بل إن بعضهم قد رماه بالكذب والوضع؛ فالخطيب في تاريخه — بعد أن ذكر الذين رووا عنه : وهم أحمد ابن عيسى المكي، وأبوعبد الله الحكيمي، ومحمد بن يحيى الصولي، ومحمد بن العباس بن نجيح ، وأبو بكر الادمي القارى ، وأحمد بن كامل القاضي — قال : ولم يسند من الحديث إلا القليل . والغالب على رواياته الأخبار والحكايات[1] وروى عنه — لإظهار ضعفه — حديثاً ذكر سنده ثم حكم عليه بأنه غريب . وفي هذا الحديث أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم بطائر فقال : اللهم آتني بأحب خلقك إليك يأكل معي، فجاء علي فحجبته مرتين ، فجاء في الثالثة فأذنت له . فقال : يا علي ما حبسك ؟ قال : هذه ثلاث مرات قد جئتها فحجبني أنس . قال : لم يا أنس ؟ قال سمعت دعوتك يا رسول الله ، فأحببت أن يكون رجلا من قومي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الرجل يحب قومه »[2] .

علق الخطيب على هذا الحديث بقوله : غريب باسناده لم نكتبه إلا من حديث أبي العيناء محمد بن القاسم عن أبي عاصم ، وأبو المندى مجهول — وهو أحد رجال السند — واسمه لا يعرف ؛ ثم نقل عن أبي الحسن الدارقطني قوله : « أبو العيناء ليس بقوى في الحديث » وأكد هذا ابن حجر في (لسان الميزان) ثم روى عنه أنه قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك » وهذا الحديث الباطل من أساسه قد سبقت الإشارة إليه .

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣

(٢) تاريخ بغداد ص ١٧٢ ج ٣

ولم يستحي أبو العيناء مدى حياته من تكرار رواية هذا الحديث الموضوع حتى قال إسماعيل بن محمد النحوي : « كان أبو العيناء يحدث بذلك بعد ما مات الجاحظ »[1] .

وروى عنه ابن حجر أيضاً حديث « مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل العين ، ودواء العين ترك مسها » وعلق عليه بقول الدارقطني : « لم يروه غير أبي العيناء »[2] .

ولست أستغرب أن يضعفه حفاظ الحديث ، فإن رجلا يعترف بجريمة الكذب على رسول الله ثم ينشر كذبه جدير به أن يتخيل ما شاء ليرضي ملكة الكذب المسيطرة على لسانه . وحريٌّ أن يضحك ما طاب له ليبقى ضاحكا مدى الحياة لذلك كان أسلوبه واحداً لا يتغير : فلسانه سليط مع الجميع ، وربما كان أكثر تمكناً من الاسترسال مع العاديين من الناس لأنه لا يجد من الفارق بينه وبينهم ما يمنعه من التظرف كيف شاء .

قال له ابن الجماز المغني يوماً : « هل تذكر سالف معاشرتنا ؟ فقال : إذ تغنينا ونحن نستعفيك ؟ » . وقالت له قينة : « هب لي خاتمك وأذكرك به . فقال لها : اذكري أنك طلبته مني ومنعتك »

وهو إذا استطاع أن يخفض من قدر محدثه ليكبر من قدر نفسه لا يتورع ولا يحتاط : اعترضه يوماً أحمد بن سعيد فسلم عليه فقال له أبو العيناء : من أنت ؟ قال أنا أحمد بن سعيد . فقال: إني بك لعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إليّ من أسفل ، فما له ينحدر عليّ من علو ؟ قال : لأني راكب . فقال : عهدي بك وأنت في طمرين[3] لو أقسمت على الله برغيف لأعضك بما تكره » .

وهو يمازح من يعرف ومن لا يعرف ، ومن يروق لعينه وقد لا يروق لأعين الناس ، ولا يعنيه إلا أن يكون ضاحك السن ، سواء أضحك منه الفؤاد أم بات في هم دفين .

وقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال : « من هذا ؟ قال : رجل من بني آدم . قال أبو العيناء : مرحباً بك — أطال الله بقاءك — كنت أظن أن هذا النسل قد انقطع » .

وهذه الدعابات قليل من كثير تجد بعضها في معجم الأدباء

(١) لسان الميزان ص ٣٤٦ ج ٣

(٢) المرجع السابق الصفحة ذاتها ... (٣) ثوبين خلقين

فى ترجمة محمد بن القاسم أبى العيناء . ونلمح فى كل هذه الدعابات أو أكثرها إشارة عنيفة إلى تمرده على البشر ، وتشاؤمه منهم ، وقلة إيمانه بهم !

وجميل بنا أن نذكر أنه عاش فقيراً ، ولكنه — على قلة ذات يده — كان يملأ قلبه العطف : يطعم المساكين ، ويرحم الضعاف العاجزين ، ويلذ له أن يداعبهم كما يداعب غيرهم لعلهم يطربون : دعا سائلا ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله فقال له : « يا هذا ، دعونك رحمة فتركتنى رحمة »

بيد أنه إذا اشتدت به الحاجة لا يسأل من أى سبيل يجمع ماله : قال أبو العيناء « مررت يوماً فى درب بسر من رأى فقال لى غلام : يامولاى فى الدرب حمل سمين والدرب خال . فأمرته أن يأخذه ، وغطيته بطيلسانى وصرت به إلى منزلى . فلما كان من الغد جاءتنى رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جعلت فداك : ضاع لنا بالأمس حمل فأخبرنى صبيان دربنا أنك أخذته ، فأمر برده متفضلا . فكتبت إليه : يا سبحان الله ! ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربنا يزعمون أنك بقاء وأكذبهم أنا ولا أصدقهم ، وتصدق أنت صبيان دربك أنى أخذت الحمل قال : فسكت ولم يعاودنى » .

وهو فى العداوة خصيم مبين : يشمت ويتمنى الشر والضر . مر يوماً على دار عدو له فقال : ما خبر أبى محمد ؟ فقالوا : كما تحب قال : فمالى لا أسمع الرنة والصياح ؟ »

وعلى كل حال ، فقد كان هذا الشاعر الظريف من هؤلاء الأفراد الضاحكة وجوههم الباكية قلوبهم ، الذين نرى ظواهرهم لاهية ، ويرون حقائقهم قاسية . وكأنما رأى أن الهزل يسرى عنه بعض ما يجده ، فبقى يضحك الناس عمرا طويلاً حافلاً ، وكان خير ما أرضاه أنه أراد أن يستوى على عرش الهزل استيلاء الحاكين على عرش الجد ، فكان له ما أحب منذ بلغ أشده حتى رد إلى أرذل العمر فات .

وبعد ، فكأنما كان هذا الظريف — حتى فى شيخوخته — يعاند الدهر ولا يريد أن يموت : فقد ركب سنة ثلاث وثمانين ومائتين سفينة إلى البصرة وكان فيها ثمانون شخصاً ، فمضت العاصفة غضبتها ، وثارت الأنواء ثورتها ، فحطمت السفينة وأغرقت ركابها ، فما نجا منهم سوى أبى العيناء إذ تملق بطرف الزورق فأخرج حياً[1] لكنه لم يستطع أن يعاند الدهر من جديد فقد عاجلته منيته فى هذه السنة نفسها فمات كما جزم المسعودى فى (مروج الذهب)

مات وما زال الظرفاء يتندرون بدعابات أبى العيناء ؟

مات فسكت ذلك اللسان السليط ، وشلت تلك الحركة التى لا تعرف السكون !

ولكن ... لقد عاش هذا الظريف ضاحكا طول الحياة ، حتى إذا حضره الموت أرسل دمعة أو دموعاً وهو يودع الدنيا قائلا:

يا ويح هذى الأرض ما تصنع أكل حى فوقها تصرع ؟
تزرعهم حتى إذا ما أتوا أشدهم تحصد ما تزرع !

وبعد ، ففى كنوز الأدب العربى لآلىء نادرة كأبى العيناء ، خليق بأيدينا أن نقع عليها لنخرجها لشبابنا الناهض فتسحر القلوب وتخطف الأبصار .

صبحى إبراهيم الصالح

(١) لسان الميزان ص ٣٤٤ ج ٥

من شواهد النبوة :

المتنبئـــون

للأستـــاذ علي العماري

« تتمة »

وثالث الأسباب التي دفعت بمشاهير المتنبئين وأصحابهم إلى الصبر والصدق في حروب المسلمين الطمع في الملك والرغبة في السيادة . ولقد عرف المتنبئون كيف يأكلون الكتف ، فهم إن فاتهم — إحكام الكذب في دعواهم لم يفتهم استمالة أقوامهم بما يطمعونهم فيه من ملك العرب . وهذا أمر قد استقام لكل المتنبئين ، فأما مسيلمة فقد ابتدأ أمره بأن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فأني قد أشركت معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يعتدون » فرد عليه النبي « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » فلما جاءه كتاب الرسول أخفاه ، وكتب عنه كتاباً زعم أنه وصله بثبوت الشركة بينهما ، وأخرج ذلك الكتاب إلى قومه فافتتنوا به .

وبهذا — إلى جانب ما قدمنا من أسباب — استطاع عدو الله أن يسخر هذه الآلاف المؤلفة في حرب مبيدة . وأما طليحة فقد ذكروا أن مما سجع به قوله « والحمام واليمام ، والصرد الصوام ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام » . وسواء أصحت هذه المقالة أم لم تصح ، فإنها تدلنا على كل حال على الفكرة التي كان يبثها طليحة في قومه ، وهي أنهم إنما يطلبون الملك ويناولونه . وسجاح ما كان لها أن تجرر وراءها سادات قومها من تميم ، ووجوه أخوالها من تغلب إلا بهذه الأمنية الجذابة : « إنما أنا امرأة من يربوع ، فإن كان ملك فهو لكم » إذن فقد كانت العصا السحرية التي أمسك بها هؤلاء المتنبئون هي التلويح بالملك والسيادة لهؤلاء العرب الظامئين إلى السلطان . ولقد ألم الرافعي رحمه الله في كتابه « إعجاز القرآن » ببعض هذه الأسباب التي شرحناها . قال بعد الكلام عن بعض المتنبئين : « على أنه لا اتباع له من غير قومه ، ولا يشايعه من قومه ألا طائفة يستنفرون لأمره ، ويعطفون عليه جنبات الناس حتى يجمعوا له اخلاطا وضروبا ، وقد تبعوه وشمروا في ذلك حمية وعصبية ، وحدبا من الطباع على الطباع ، فهم في غنى عن نبوته وقرآنه ، وإنما رأيهم الخطار بالأنفس والأموال على ما تنزعهم إليه الطبيعة مقاربة لمن قارب صاحبهم ، ومباعدة لمن باعد ، وعسى أن يرد عليهم ذلك مغنما ، أو ينقلهم من غيرهم ، أو يجدي عليهم بالعزة والغلبة ، أو يكون لهم سبيل منه إلى التوثب ، أن صادفوا غرة ، وأصابوا مضطربا إلى غير ذلك مما تزينه المطمعة ، ويمزبه الغرور ، ويقصد إليه بالسبب الواهي ، وبالحادث الضئيل ، وبكل طائفة من الرأي وبقية من الوهم ، وتستوي فيه الشمال واليمين ، وتتقدم فيه الرؤوس والأرجل ، مبادرة لا يدرى أيهما حامل وأيهما محمول »

يضاف إلى كل ذلك ما ذكره ابن خلدون من أن بعض هؤلاء المتنبئين وأنصارهم كان يطمع في النبوة ، فلما لم تجئه عاند قال في فصل بعد الكلام على الكهان : « ثم إن هؤلاء الكهان إذ عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة ، ولا يصدهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد ، كما وقع لأمية بن أبي الصلت ، فإنه كان يطمع أن يتنبأ . وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم ، فإذا غلب الإيمان ، وانقطعت تلك الأماني آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطليحة الأسدي وسواد بن قارب ، وكان لهما في الفتوحات الإسلامية الآثار الشاهدة بحسن الإيمان » .

* * *

قلنا في المقال السابق إن التنبؤ في العصر العباسي كان جنونا ، فإن لم يكن فهو الحمق لا شك فيه ، وإنما دعانا إلى هذا القول أنا وجدنا جمهرتهم غير جادين في هذا الإدعاء ، فلا أنصار ولا اتباع ولا غايات عظيمة يقصدون إليها ، كما كان هذا شأن أصحابهم السابقين ، ولذلك فإنا لا نلم بأخبارهم مؤرخين ، وإنما نلم بشيء منها فيه طرافة يستريح إليها الدارس ، ويستمتع بها القارئ ، فإن أخبارهم كما يقول صاحب العقد الفريد « حدائق مونقة ، ورياض زاهرة ، لما فيها من طرفة ونادرة ، فكأنها أنوار مزخرفة

أو حلل منشرة، دانية القطوف من جانى ثمرتها، قريبة المسافة لمن طلبها، فإذا تأملها الناظر، وأصغى إليها السامع، وجدها ملهى للسمع، ومرتما للنظر، وسكنا للروح، ولقاحا للعقل، وسميراً فى الوحدة، وأنيساً فى الوحشة» وإذا كان الأمر كما يقول ابن عبد ربه لأن فى أخبارهم الغريب المطرب، والطريف المعجب، بل إن ادعاءهم النبوة نفسه كان مما يضحك الثكلى، ويسرى عن المحزون، لأنه اقترن بحمق وسخف. وحسبك بقوم يفترون على الله الكذب، ويزعمون أنه أرسلهم زورا وبهتانا، دون أن يكمن وراء ذلك ما يكون كفاء لهذه الكذبة البلقاء، ليس ببعيد عندى أن الأخباريين اختلقوا وتزيدوا، وأرادوا مادة للسمر والتفكه فالتمسوها فى المجانين، والحمقى، وفى هؤلاء. ولعل اختيارهم لهذا النوع كان اختياراً موفقا إلى حد بعيد. نعم روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون رجلا كلهم يدعى النبوة. ولكن نحن لا ننكر أن قوماً ادعوا النبوة كما أنا لا نسلم — كذلك — أن هذه الأخبار كلها وقعت بالفعل. ومهما يكن من شىء فإن أحق جانب بالنظر فى أخبار هؤلاء هو جانب الفكاهة والملحة. على أن أصحاب السمر لم يخلوا المتنبئين القدامى من لاذع نكاتهم. وما أشك فى أن قصة زواج مسيلمة بسجاح وأنه اختدعها عن نفسها وأمهرها بإسقاط صلاتين عن قومها، ما أشك فى أن هذه القصة وضعها مازح مفحش خبيث.

أما أخبار متنبئى العصر العباسى فإنها تدلنا فى جانها على أنهم كانوا على حظ عظيم من الحيلة وحسن التخلص أو هكذا أراد لهم الوضاع.

ادعى رجل النبوة فى عهد المهدى فأدخل عليه فقال له: أنت نبى؟ قال نعم. قال: متى نبئت؟ قال: وما تصنع بالتاريخ؟ قال: ففى أى المواضع جاءتك النبوة؟ قال: وقعنا — والله — فى شغل! ليس هذا من مسائل الأنبياء، إن كان رأيك أن تصدقنى فى كل ما قلت فاعمل به، وإن كنت عزمت على تكذيبى فدعنى أذهب عنك. فقال المهدى: هذا ما لا يجوز؛ إذ كان فيه فساد الدين، قال: واعجبا! تغضب لدينك لفساده، ولا أغضب أنا لفساد نبوتى؟ ثم قال للمهدى: أحاكك فيما جاء به من قبلى من الرسل، قال: رضيت، قال: أكافر أنا عندك أم مؤمن؟ قال: كافر، قال فإن الله يقول: «ولا تطع الكافرين والمنافقين، ودع أذاهم» فلا تطعنى ولا تؤذنى، ودعنى أذهب إلى الضعفاء والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء، وأدع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم. فضحك المهدى وخلى سبيله.!!

وإذا كان هذا لجأ إلى آية من كتاب الله يستند إليها ويتخلص بها فإن غيره كان يعتمد على النكتة البارعة، والأضحوكة الآخذة، يتلمس بها الخلاص من قبضة الخليفة وبطشه... أتى المأمون بإنسان تنبأ فقال له: ألك علامة؟ قال نعم. علامتى أنى أعلم ما فى نفسك! قال المأمون: قربت على، ما فى نفسى؟ قال: فى نفسك أنى كذاب! قال: صدقت، وأمر به إلى الحبس، ثم أخرجه بعد أيام، فقال: هل أوحى إليك بشىء؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال لأن الملائكة لا تدخل الحبس! فضحك المأمون ثم أطلقه.

وجىء بمتنبىء — مقيدا — إلى سليمان بن على فقال له: أنت نبى مرسل؟ قال: أما الساعة فأنى مقيد. قال: ويحك! من بعثك؟ قال: أبهذا يخاطب الأنبياء يا ضعيف، والله لولا أنى مقيد لأمرت جبريل أن يدمدمها عليكم. قال: فالمقيد لا تجاب له دعوة؟ قال: نعم. الأنبياء خاصة إذا قيدت لم ترتفع دعاؤها.

ولا أدرى ما الذى حمل الأخباريين على أن يشقوا لكل متنبىء طريق النجاة إن لم تكن الدعابة هى غايتهم؟! على أنهم إذا أوقعوا أحدهم فى مكروه التمسوا الفكاهة فى ناحية أخرى من خبره.

ادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى الوالى الأموى وعارض القرآن، فأتى به خالد، فقال له ما تقول؟ قال: عارضت فى القرآن ما يقول الله تعالى «إنا أعطيناك الكوثر» فقلت أنا ما هو أحسن من هذا: إنا أعطيناك الجاهر، فصل لربك وجاهر، ولا تطع كل كافر وساحر. فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب، فمر به أحد الظرفاء فقال: إنا أعطيناك العمود، فصل لربك على عود، وأنا ضامن ألا تعود.

هكذا كانوا يتندرون بهم، ويسخرون منهم، ونحن لا نجد فى عصرنا من يدعى النبوة وإنما نجد من يدعى الألوهية فى الدين وفى غير الدين، فهل يصلى هؤلاء على عود؟!

على العمارى
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

من أدب العراق :

المرأة في شعر الرصافي

للشيخ محمد رجب البيومي

حيا الله الشعر العربي ، فلقد آزر النهضة الشرقية أتم مؤازرة ، فأيقظ عيوناً نائمة ، وأسمع آذاناً موصدة ، وطاح بجبابرة قساة ، وأدوا الكرامة الإنسانية ، وأزهقوا العزة القومية ، كما أسدلوا على الشرق الصريع ستوراً مظلمة مخيفة ، تنصب خلفها المكائد الدنيئة ، ويتجبر في ليلها الحالك شياطين البغي والاستبداد

ولقد كان الرصافي رحمه الله في طليعة هؤلاء العباقرة المجاهدين ، فقد اتخذ من يراعه القوي صارماً بتاراً ، تنقل به من معركة إلى معركة ، فهو في ميدان السياسة يشن الغارة على السرطان الاستعماري ، ويقف في وجه الطاغوت التركي ؛ وهو في ميدان الاجتماع يحث على التعليم المنتج ، ويدعو إلى الأخلاق الرفيعة ، كما تراه يتغنى بماضي الشرق الزاهر ، ويندب حاضره المنكود ، حتى أثمر جهاده أي إثمار ، فهب العالم العربي ينقب عن تراثه الضائع ، ويستعيد مجده المغصوب .

وسأحاول اليوم أن أكشف عن أثر الرصافي في النهضة النسوية ، كما أبين شعوره نحو المرأة كإنسان ناضج ، وكيف أوحت إليه من المعاني والأخيلة ما ارتسم واضحاً في مرآة شعره . ولا عجب فقد وجدت لزاماً بعد أن وقفت على مجهوده الموفق في هذا السبيل أن أتحدث عنه إلى القراء .

* * *

لم تكن حال المرأة في العراق خيراً منها في مصر ، بل كان الحجاب والجهل من لوازمها الأكيدة في كلا القطرين ، فارتفعت الدعوة بتحريرها أولاً في ربوع النيل ، واحتدم الجدال بين الأنصار والخصوم ، فكانت معركة طاحنة تردد صداها في ربوع العراق ، فنهض الرصافي والزهاوي للمطالبة بحق الفتاة ، وتصديا للهجوم العنيف بما يملكان من بيان ، فكانت المقالات الضافية ، والقصائد الرنانة ، تعبر عن آرائهما الجديدة في جرأة وعنف ، وواصل الرصافي جهوده ، فتألب عليه الجمهور ، وتعقبه الحاكم التركي في غدوه ورواحه ، وهو لا يفتأ يناضل عن حق اعتقده ويقوض أركاناً عتيدة يراها غير صالحة للبقاء !

كان قاسم أمين في مصر صاحب الرأي الأول في حركته التحررية ، وكان الشعراء والمثقفون يسيرون وراءه في كثير من التحفظ والاحتياط ، أما في العراق فقد كان معروف وجميل يقومان بعبء قاسم في حماسة يصل بها إلى الثورة والاندفاع ، ومن هنا كانت مكانتهما الاجتماعية في بغداد أقوى من مكانة شوقي وحافظ ومطران في مصر ، والفرق بين هذين وهؤلاء فرق ما بين الخطيب والمصفقين مع التسامح اليسير ! !

على أن الرصافي كان في دعوته يعدد أساليبه الشعرية ، فلم يسر على نمط واحد في قوافيه ، فتارة يعمد إلى العاطفة ، فيرسم لك صورة قاتمة لبائسة جاهلة ، قضت عمرها سجينة مغلولة ، حُرّم عليها العلم فهو أرفع من أن يهبط إلى مستواها الوضيع ، وأذلها الفقر فهي تئن تحت براثن الجوع ، ثم ضرب حولها الحصار المنيع فهي لا تسعى إلى طلب القوت . ويتساءل بعد ذلك : في أي طريق تسير ؟ والعيون راصدة ، والفاقة قاتلة ، اسمعه يقول

لم أر بين الناس ذا مظلمه ... أحق بالرحمة من مسلمه
منقوصة حتى بميراثها ... محجوبة حتى عن المكرمه
قد جعلوا الجهل صواناً لها ... من كل ما يدعو إلى المأثمه
والعلم أعلى رتبة عندهم ... من أن تلقاه وأن تعلمه
ما تصنع المرأة محبوسة ... في بيتها إن أصبحت معدمه ؟
ضاقت بها العيشة إذ دونها ... سدت جميع الطرق المعلمه
كم في بيوت القوم من حرة ... تبكي من البؤس بعيني أمه
قد لوحت نار الطوى وجهها ... وأعمل الفقر بها ميسمه
عاب عليها قومها ضلة ... أن تكسب القوت وأن تطعمه
من أي وجه تبتغي كسبها ... وطرقها بالجهل مستبهمه ؟

وتارة يعمد الشاعر إلى الأدلة الخطابية ، فيسهل الغاية ، ويتفادى العاقبة حيث يستغنى بالحياء عن الحجاب ، وبالتهذيب والدراسة عن اللثام ، ثم يغضب أن يكون رجالنا ذئاباً متنمرة ، ونساؤنا نعاجاً مستكينة ، ويقيم البرهان على تأخر الشرق بتأخر فتياته ، فهن جزؤه المفلوح ، ونصفه الأشل ، فكيف يضمن البقاء

على حاله بدون تناسب ، والقاعدة غير ذلك ؟ إنه يقول :

شرف المليحة أن تكون أديبة ... وحجابها فى الناس أن تتهذبا
والوجه إن كان الحياء نقابه ... أغنى فتاة الحى أن تتنقبا
واللؤم أجمع أن تكون نساؤنا ... مثل النعاج وأن نكون الأذؤبا
والشرق ليس بناهض إلا إذا ... أدنى الرجال من النساء وقربا
فإذا ادعيت تقدما لرجاله ... جاء التأخر للنساء مكذبا
من أين ينهض قائماً مَن نصفه ... يشكو السقام بفالج متوصبا
كيف البقاء له بدون تناسب ... والدهر خصص بالبقاء الأنسبا

ولا ينسى الشاعر فى دعوته التحريرية ضغنه على المستعمرين ، فهو يرجع التوغل الاحتلالى إلى الأمهات وحدهن ، حيث كن إماء جاهلات ، فلم ينشئن أولادهن على العزة والكرامة ، فهانت نفوسهم ، وتحملوا جور الدخيل وتعسف الغريب ، وكأنه اصطاد عصفورين بحجر واحد حين قال :

أضافوا عليهن الفضاء كأنما ... يغارون من نور به وهواء
ولو أنهم أبقوا لهن كرامة ... لكانوا بما أبقوا من الكرماء
ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم ... على الذل شبوا فى حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نفوسهم ... تحمل جور الساسة الغرباء

وقد اشتهرت قصيدة معروف التائية شهرة واسعة فتناقلتها الصحف المختلفة ، وسجلتها الكتب المدرسية مرات عديدة ، لأن ناظمها واضح صريح ، يذكر حجج الخصوم ويدفعها بالمنطق العقلى ، والدليل التاريخى . ولأمر ما تذكرنى هذه القصيدة الرائعة بأخت لها نظمها حافظ رحمه الله فى موضوعها الهام ، وكان لها من الشهرة ما لقصيدة الرصافى ، ولكن روح معروف أكثر انتقادا ، وتفكيره أوسع أفقا ، وإن اجتمعا معا فى السلاسة والعذوبة.

وكلا الشاعرين قد بدأ موضوعه بالدعوة إلى الفضيلة ، والتمدح بمكارم الأخلاق ، فقال الرصافى .

هى الأخلاق تنبت كالنبات ... إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهدها المربى ... على ساق الفضيلة مثمرات
وتسمو للمكارم باتساق ... كما اتسقت أنابيب القناة
وتنعش من صميم المجد روحاً ... بأزهار لها متضوعات

وقال حافظ :

أنى لتطربنى الخلال كريمة ... طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزنى ذكر المروءة والندى ... بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابلية فى صفاء مزاجها ... والشرب بين تنافس وسباق
بألذ من خلق جميل طاهر ... قد مازجته سلامة الأذواق

ومضى معروف فشبه الأم بالمدرسة ، وقارن بين ابن المتعلمة وابن الجاهلة ، فشبه هذا بنبت الفلاة ، وذاك بزهر الرياض ؛ واستعان بخياله ، فجعل صدر الفتاة لوحاً بديعاً تتراءى فيه صور الحنان الدافق ، ثم دلف إلى آراء المحافظين فدحضها فى هدوء وبساطة ، وبين موقف الشريعة الإسلامية من المرأة وكيف أخطأ الجامدون فنسبوا إلى الدين ما ليس منه ، واستدل بعائشة أم المؤمنين وما كانت عليه من فصاحة وفقه ، ثم عاد يتساءل فى تبرم

فما للأمهات جهلن حتى ... أتين بكل طياش الحصاة
حنون على الرضيع بغير علم ... فضاع حنو تلك المرضعات
نرى جهل الفتاة لها عفافاً ... كأن الجهل حصن للفتاة
ونحتقر الحلائل لا لجرم ... فنؤذيهن أنواع الأذاة
لئن وأدوا البنات فقد قبرنا ... جميع نسائنا قبل الممات
حجبناهن عن طلب المعالى ... فعشن بجهلهن مهتكات
وقالوا إن معنى العلم شىء ... تضيق به صدور الغانيات
وقالوا شرعة الإسلام تقضى ... بتفضيل الذين على اللواتى
لقد كذبوا على الإسلام كذباً ... تزول الشم منه مزلزلات
أم المؤمنين إليك نشكو ... مصيبتنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة يا أم منها ... (نكاد نغص بالماء الفرات)

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

٢ — الأعلام :

أحمد فتحى زغلول باشا

[فى مارس الماضى مضى على وفاة أحمد فتحى زغلول باشا ٣٤ عاماً]

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

ولد أحمد فتحى زغلول فى قرية أبيانة بمديرية الغربية فى ربيع الأول سنة ١٢٨٩ هجرية ، وكان أصغر أنجال الشيخ إبراهيم زغلول أحد الأعيان البارزين فى تلك القرية ، ولكنه حرم حنان الوالد وعطفه ؛ إذ مات والده وتركه رضيعاً لم تتفتح عيناه للحياة بعد ، وكان شقيقه سعد زغلول فطيما ، وكانت والدتهما — وهى إحدى عقائل عائلة بركات — لا تزال شابة لا تتجاوز العشرين ، فمنحت شبابها لولديها اليتيمين ، ووقفت نفسها على تربيتهما تحت رعاية أخيهما الكبير لأبيهما الشناوى زغلول الذى عنى بتعليمهما على ما كان معهوداً فى تعليم أولاد الأعيان يومذاك ، وكان أن نفع الله بالطفلين اليتيمين على خير ما يكون النفع للأمة والوطن ، فصار سعد إلى ما صار إليه فى زعامة الأمة وقيادتها ، وانتهى فتحى إلى ما انتهى إليه ، دعامة من دعائم الإصلاح التشريعى والاجتماعى ، ومنارة تهدى ركب الأمة إلى سواء السبيل .

ولم يكن اسمه أحمد فتحى ، وإنما كان اسمه فتح الله صبرى ، هكذا سماه والده ، وهكذا عرف فى حياته الأولى ، حتى انتهى من مراحل التعليم فى كتاب القرية ، وفى مدرسة رشيد الابتدائية ، ثم المدرسة التجهيزية ، ودخل مدرسة الألسن وصادف أن زار أحمد خيرى باشا ناظر المعارف يومذاك تلك المدرسة ، فأعجب بذكاء الشاب فتح الله صبرى ، وأدهشه ما لمس فيه من نبوغ خارق ، فخلع عليه اسمه أحمد ، ونحت من «فتح الله» إسم فتحى ، وهكذا سماه أحمد فتحى ، وأصدر أمره إلى المدرسة بقبوله بالمجان ، ورد ما دفع من المصاريف إليه ، وكانت هذه أول شهادة بالنبوغ لفتحى زغلول ...

وتخرج فتحى متفوقاً فى دراسته ، فأرسلته نظارة المعارف سنة ١٨٨٤ إلى فرنسا لدراسة الحقوق ، وقد رجع فى سنة ١٨٨٧ بعد أن حصل على شهادة الليسانس فى القانون ؛ فعين بقلم قضايا الحكومة ، ثم رقى رئيساً لنيابة أسيوط ، ثم رئيساً لنيابة الإسكندرية ، ثم مفتشاً بلجنة المراقبة ، ثم رئيساً لمحكمة الزقازيق فرئيساً لمحكمة مصر ، ثم اختير وكيلا لنظارة الحقانية ، وقد ظل فى هذا المنصب حتى انتقل إلى جوار ربه ...

تلك كانت حياة فتحى زغلول فى مناصب الحكومة ، وهى حياة يمكن للمؤرخ أن يجملها فى سطور ، وما كانت حياة الوظيفة فى يوم مجال عبقرية ولا مظهر نبوغ ، وإنما كان مجال عبقرية فتحى ومجال نبوغه فى ناحية الإصلاح التى رادها ، والتى رأى فى انتهاجها خدمة للوطن ونفعاً للأمة وإفادة لشباب طامح يتوثب للنهوض ، وينشد الحياة المهذبة الكريمة . فما هو ذلك المجال الذى اختاره فتحى للعمل ، وآثره بجهوده ونبوغه ؟

يقول فتحى باشا فى كلمة من كلماته : « إن من يخبر حال هذه الأمة ويقف على كنه خلقها ، ويعرف جيداً حقيقة خصالها ويدرك الصحيح من آمالها ، وينعم النظر فى أعمالها ، يقتنع بأن التربة زكية لا يفسد زرعها إلا شىء من البذور الرديئة ، وبأن الخلق الكريم يغشاه ستار من عدم العلم التام بالواقع ، وبأن الآمال كبيرة شريفة لكنها مشوبة بشكوك وأوهام تطوح بنا يوماً ذات اليمين ويوماً ذات الشمال . أما أعمالنا فثمرة هذا وذاك، تهتاج والسكون واجب ، ونلهو وكل النجح فى العمل ، وما كان شىء من كل هذا يكون لولا خطأ فى تقدير حقيقة حالنا ، وعدم التفات إلى حركة البيئة التى نحن فيها ، ونسيان لشىء كثير من الماضى ولهو عن الحاضر وعدم اهتمام بما هو آت . ومحال أن تدوم هذه الحال ، فلا بد لنا من إعداد العدة اللازمة لهذا التحول ، وما هى إلا العلم ؛ فإن العلم سلم الأمم إلى الحضارة ، وكاشف ظلمات الجهل ، ومسدد الآراء ، ومنجح كل مجهود ، وهو الذى ينقى الضمائر ، ويجمع شمل المتفرقين ، ويطهر السرائر ، ويوحد كلمة المتنافرين ، وينير البصائر فيهدينا إلى أن التآزر شرط النجاح ، وأن يد الله مع الجماعة ، وأن التباغض مجلبة الشر وأن التنابذ سبيل إلى الذلة » ...

هذا هو مارآه فتحى فى تشخيص داء الأمة ، وتقدير الدواء لها ، وعلى هذا اندفع ينشد العلم الصحيح لشفاء الأمة من دائها . العلم الذى « ينقى الضمائر ، ويطهر السرائر ، وينير البصائر » ، العلم الذى « يقوم الأخلاق ويبصر الأمة بما لها من الحقوق ،

وما عليها من الواجبات » ، وبين غسق القرن الماضي ، وغلس القرن الحاضر كانت تهز حياة الأمة دعوات الإصلاح المتتالية ، فكان الأستاذ الإمام محمد عبده يدعو دعوة الإصلاح في الناحية الدينية ، وكان مصطفى كامل يحمل لواء الوطنية ، وكان قاسم أمين يدعو إلى النهوض بالمرأة المصرية ، وكانت هذه الدعوات يكتنفها ما يكتنفها من الضجيج والتدافع . أما فتحي زغلول فقد وقف في ميدانه ينادي : « علموا الأمة . علموا الأمة » ، وانتحى من ذلك ناحية هادئة ، فعكف على التأليف والترجمة ، ونقل الآثار النافعة ، حتى يقيم من ذلك دعامة للأمة تنهض عليها إلى ما تنشده من الحرية والكرامة وقوة الشخصية .

وكان فتحي زغلول رجل ارتقاء لا رجل ثورة كما يقول أحمد لطفي السيد باشا ، وكان يرى أن الوصول في الاصلاح إلى نتيجة مضمونة يقتضي إدراك الحقوق والواجبات ؛ حقوق الفرد وواجباته ، وحقوق الأمة وواجباتها ، ولهذا ابتدأ سنة ١٨٨٨ على أثر عودته من فرنسا يترجم كتاب «العقد الاجتماعي» لروسو ، ولكنه بعد أن قطع فيه شوطاً بعيداً تجاوزه ، وأقبل على ترجمة كتاب «أصول الشرائع» لبنتام فأتمه وأصدره بعد فترة وجيزة ، ثم مضى في الترجمة والتعريب ، فعرب كتاب « خواطر وسوانح في الإسلام » للكونت هنري دي كاستري ، و « سر تقدم الإنكليز السكسونيين» لأدمون ديمولان ، و « روح الاجتماع » و « سر تطور الأمم » و «جوامع الكلم » و « حضارة العرب » لجوستاف لوبون ، و « خطاب مصطفى فاضل باشا إلى السلطان عبد العزيز » و « كتاب بورجار في الاقتصاد السياسي » ، و « جمهورية أفلاطون » و « الفرد ضد الملكة » لسبنسر .

ومن هذه الكتب ما تم تعريبه وطبعه ، ومنها ما تم تعريبه ولم يطبع ، ومنها ما تركه رهن الإنجاز والإتمام ولا ندري ماصنعت به الأيام .

أما في مجال التأليف فقد ترك « كتاب المحاماة » و « شرح القانون المدني » و « رسالة في التزوير » ؛ كما ألف كتاباً « في التربية العامة » فأتمه ولكنه لم يطبع فيما علمت . وهناك كتاب وهو كتاب « حاضر المصريين وسر تأخرهم » الذي ظهر سنة ١٩٠٢ من تأليف « محمد عمر » ، وكتب مقدمته فتحي باشا ، فإن بعض العارفين يعزون تأليف هذا الكتاب إلى فتحي زغلول باشا ، ويقولون إنه أخرجه على نسق كتاب « سر تقدم الإنجليز السكسونيين » الذي ترجمه ، ولكنه لم يضع اسمه عليه إيثاراً للسلامة نظراً لما تضمنه الكتاب من نقد شديد لاذع ...

وكان لفتحي باشا في التعريب طريقة آثرها وارتضاها . كان يقرأ الكتاب ويأتي عليه جملة ، ويتشرب روح المؤلف ويتقمص شخصيته ، ثم يأخذ بعد ذلك في التعريب . قال أحمد لطفي السيد باشا : « ولفتحي باشا في تعريبه شخصية تامة ممتازة في طريقته وفي أسلوبه البياني . أما نحوه في التعريب فليس هو الالتزام الحرفي للأصل ، ولا المجافاة للأصل ، ولكن نحوه بين ذلك وسط مرض . وأما أسلوبه فهو عربي خالص لا يعني فيه بفضلة الزخرف والمحسنات اللفظية ، ولكنه مع ذلك متين الرصف ظاهر الرشاقة جذاب جداً » .

أما شخصية فتحي باشا فكانت شخصية العالم ؛ فالهدوء والرزانة ، والإخلاص للعمل ، وأداء الواجب قبل كل شيء ، والابتعاد عن مجال الضجيج والصخب . كل هذه كانت صفاته الظاهرة ، حتى أنه لم يكن يرى في ميدان الحياة العامة إلا قاصداً لعيادة مريض ، أو مواساة رفيق ، أو متوجهاً لرد زيارة ، أو مشاهداً لحفلة أنس لا بأس أن يجد فيها شيئاً من الرفاهية ، وماعدا ذلك فكل وقته بين الدفاتر والقماطر ، والتحرير والتحبير ، كأنه كان يتعجل إنجاز مهمته قبل أن تعجله المنية . قال صديقه أحمد لطفي السيد باشا فيما رواه عنه :

« ما أنس لا أنس إذ دخلت إلى فتحي باشا في داره بهليوبوليس في يوم حر ذي لوافح محرقات . دخلت إليه وقت الهاجرة فوجدته على مكتبه ، وأمامه أوراقه منثورة ، وكتبه مفتوحة ، يقرأ ويراجع ، ويعرب ويكتب ، كذلك دأبه لا ينقطع عند خلوه من عمله الرسمي إلى عمل واحد بعينه ، كأن عادته في العدل بين الناس جملته يعدل في تقسيم فراغه بين المقاصد العلمية المختلفة . أو كأنه يجد في الانتقال من عمل إلى عمل راحة وتنشيطاً . فقلت له : أتلك هي رياضتك في الأجازة وراحتك في حمارة القيظ؟ فقال وهو يبتسم : نعم هـذه رياضتي . فخلفته فيما يظنه رياضة ، وبتخيله سعادة ، وخرجت أحمد الله على أن منا من ينفق صحته وملكاته ووقته في سبيل العلم » .

هكذا عاش أحمد فتحي زغلول باشا للعلم ، وفي سبيله أنفق

صحته ووقتـه وجهده ، وفي عام ١٩١٣ م أدرك أهل الفضل مدى ما أدى الرجل في هذه السبيل من مآثر ومفاخر، فأقاموا له حفلة تكريم خطب فيها أعلام القانون والبيان فأشادوا بأياديه وجهوده في خدمة التشريع والعلم ، وكم كان الأسف بالغاً إذ لم تمض على ذلك شهور حتى اختاره الله إلى جواره في ٢٧ مارس سنة ١٩١٤ ، فكان الذين اجتمعوا لتكريمه ؛ هم الذين اجتمعوا لتأبينه . ولقد مضت على وفاة ذلك العالم الجليل أربع وثلاثون عاماً وما زالت الثروة العلمية التي خلفها خير زاد يقدم لأبناء الأمة في فترة الانتقال التي يواجهونها ، وإن من المؤلم أن تبقى بعض الآثار التي خلفها فتحى باشا ولم يمهله الزمن حتى يقوم بإذاعتها مطوية إلى اليوم .

محمد فهمي عبد اللطيف

فلسفة حياة :

الاعتراف بالعيـــوب

للأستاذ محمد خليفة التونسي

من العيوب ما يدل الاعتراف به عند الضرورة على شجاعة صاحبه ومعرفته الصادقة بنفسه ، ومنها ما يكون إظهاره ضرباً من ضروب القحة ، ومظهراً من مظاهر الاستهتار ، ولا ضرورة تلجىء الإنسان إلى الاعتراف بهذه العيوب .

والنوع الأول متصل غالباً بطبيعة الإنسان ، والنوع الثاني متصل بوقائعه التي سقط فيها وآثامه التي ارتكبها .

وحسب الإنسان بلاء أن يعرف الناس من ضعفه ما لا يقدر على إخفائه عنهم مهما حاول إخفاءه ، وألا يزيدهم من كشف عوراته وتقديم الشواهد التي لم يروها حتى أراهم إياها ، ولم يطالعوا عليها حتى حدثهم بها .

من المفيد لمن يحاول إصلاح نفسه أن يعرف عيوبها ليسهل عليه علاجها ، ومن العبر المفيدة للناس أن يروا أمامهم إنساناً ذا نقائص استطاع أن يبرىء نفسه منها ، أو تفوق في حياته عليها ونجح معها ، فإن هذه العبر تبعث فيهم التفاؤل فتبعثهم على البحث عن نقائصهم وطلب السلامة منها ومحاولة علاجها بطريقة هذا الإنسان أو بطريقة أخرى تلائمهم .

على أن من القحة والاستهتار ، والتمادي في التهتك والفجور أن يذكر الإنسان نقائصه وخطاياه في معرض المباهاة والفخار ، أو حباً فيما يسمى الصراحة ، بينما هو لا يقصد من وراء ذكرها التغلب عليها ، والكشف عن عواقبها الوخيمة ، وأن تكون عبرة له أو عبرة لغيره .

وما نفع الناس من أن يعترف لهم إنسان بعيوبه دون مطمع إلا أن يصفوه بالصراحة أو الشجاعة أو الإنصاف ونحو ذلك بينما هو في مأمن منهم مهما صلحت الأحوال بينهم وبينه ، إذ لا موثق له ببقائها على صلاحها ، فهو — حين يعترف لهم بعيوبه — يكشف عن مقاتله لمن لا يستحيل ولا يستبعد أن يناصبوه العداوة والكيد .

ربما كان أقل ما يبتلى به منهم أن يقابلوه بالاشمئزاز والاحتقار ، وندر أن يكون فيهم من يقابلون عيوبه بالعطف والرثاء ، وأندر من ذلك أن يكون فيهم من يلقاها بالعلاج والإصلاح .

إن لم يكن بد للمريض بداء الكلام من الثرثرة فليثرثر بما ليس من عيوبه ، فإن لم يكن له بد من الثرثرة بها فلمن يتيقن لديه علاجها أو الوقاية من عواقبها ، فيكون مثله أمامه مثل المريض أمام الطبيب الحاذق الأمين حين يفضي إليه بأوجاعه دون خجل ولا ريبة ، فالاعتراف على هذا النحو عون للطبيب على فهم مرضه وتمكين له من إبرائه منه ، أو تخفيف آلامه عنه . وفي هذا صلاح له .

فإن لم يجد الإنسان هذا الطبيب الحاذق الأمين ولم يكن له بد من الثرثرة فعليه بمن يترقب عنده مقابلة عيوبه بالفهم والعطف ليحسن له الاعتذار والعزاء ، فيمده بالثقة والأمل ويكون مثله عنده مثل الابن عند أبيه المشفق الأمين ، يحظى ابنه فيلقى خطاياه بالحنان والتسلية ولو لم يلقها بالإصلاح والتقويم ، وصاحب العيوب في هذين الحالين آمن أن يقابل اعترافه بالاحتقار عند المودة ، والاستغلال عند الكريهة ...

محمد خليفة التونسي



مع الخزاف « مايودون »

للدكتور محمـــد بهجت

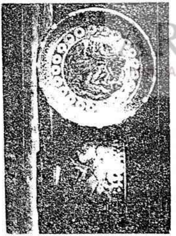
أحسنت الحكومة صنعاً باستقدام بعض الفنانين البارزين من فرنسا لمحاضرة طلاب الفنون الجميلة العليا والتحدث إلى أساتذتهم ومبادلتهم الرأى فى نواحى الفنون المختلفة ، كما أحسنت كل الإحسان بإقامة معرض كبير حوى الكثير من صفوة أعمالهم بالسراى الكبرى بأرض الجمعية الزراعية ، بلغ من أهميته أن حظى بزيارة ملكية .

ومع أن الإقبال عليه كان كبيراً لحد ما ، إلا أن الكثرة من الطبقة المثقفة لم تستمتع به أو تفد منه شيئاً ، وذلك لأن القائمين بأمره لم يعلنوا عنه الإعلان الكافى بالصحافة العربية أو بواسطة الإذاعة . ومن الناحية الأخرى أهملته تلك الصحافة إهمالاً معيباً كأن لم يقم معرض خطير للفن الحديث فى القاهرة أنفقت عليه الحكومة بسخاء وأولته الصحف الأجنبية بعض العناية . وكأن لا أثر لمثل هذا المعرض القيم فى تثقيف عقول الناس وإشباع نفوسهم بجمال الفن !

كانت معروضات الفنانين السبعة رائعة تسترعى الأنظار بطرافتها وروعتها وقوتها ، ولا يسعنا إلا إحناء رؤوسنا إعجاباً بأعمالهم واحتراماً لنبوغهم جميعاً .

غير أن واحداً منهم كان مبرزاً فى الحلبة يسطع فنه بأقوى مما يقع على جانبيه من أضواء ساحرة ، كان يستوقف جمهرة الزائرين لأطول وقت ، ويشدههم بجمال فنه وينتزع منهم أضخم عبارات الإعجاب والإطراء — أستغفر الله — بل إنهم كانوا يخلعونها عليه جزافاً سماحاً . ذلكم هو جان مايودون الخزاف العالمى الفذ الذى مكنته إدارته الفنية لمصانع سفر الشهيرة لمدة ثلاثين عاماً أو أكثر من أن يقف على أدق أسرار هذه الصناعة قديمها وحديثها ، وأن يخلق لنفسه طريقة فنية رائعة .

يجد المشاهد نفسه أمام فن جديد ذى طابع خاص ، أهم مظاهره جمال عظيم فى أشكال الزهريات والقوارير والصحون التى صممت بعناية فائقة وذوق سليم حتى ليكفى أن تؤثر فى النفوس بجمالها الذاتى خالية من النقوش والألوان ، ثم جمال ألوانها وانسجامها انسجاماً شعرياً عذباً ، مع الذهب خالصاً فى بعض الحالات أو مختلطاً قليلا أو كثيراً بتلك الألوان . أما الرسوم التى عليها ، فإما هى حيوانات زخرفية أشبه بغزلان راكضة ، وإما هى أناسى من نسيج الخيال أو من عالم الأساطير ، غير أنه لا توجد أسطورة ما ممثلة ، أنها لا تعنى شيئاً ما بل هى مجرد أخيلة يستعين بها الفنان على إيجاد حركات جميلة أو مجموعة متناسقة من الألوان . وهو فى هذه الرسوم متأثر بالفن الإغريقى لحد كبير ؛ وفى بعضها يلمس المشاهد أثر ميكائيل أنجلو .



ثم أن لكل قطعة « شخصيتها » وسحرها الخاص حتى ليصعب على المرء أن يختار لنفسه واحدة منها ، ويود لو راها مجتمعة كمجموعة من الدرر الغوالى ، ويكره أن ينفرط عقدها ، كما أن كل واحدة منها تمثل فن (مايودون) وتظهر خصائصه بكل وضوح ، مطبوعة بطابع ذوقه الرفيع .

وبينما كنت أستمتع مرة بمشاهد معروضاته إذ قدمنى إليه صديقى الأستاذ المصور أحمد صبرى ، فراعتنى أناقته المعجبة ، وقامته المديدة ، وأكتافه العريضة ، رأسه الكبير المكلل بشعر أشيب

رتيب ، وعيناه اللامعتان الفاحصتان . ربما كنا نشقق الحديث حتى بدت لى منه روح مرحة وحماسة فياضة ونفس إنسانية عظيمة مخلصة ، شغفت بالحب والجمال ، ثم تواضع عجيب هو من خلق العباقرة القادرين . سألته أن يحدثنى عن فنه فقال :



أستعمل فى عجائنى الطين النقى والسليس والطباشير والزجاج . والأخيران يجعلان لأوعيتى صلابة ورنيناً . وأستعمل من الألوان أكاسيد معادن الحديد والنحاس والكروم والمنجنيز والفضة والرصاص . ثم إنى أستعمل الذهب مخلوطاً مع أكسيدى الزئبق والبزموت . والحق يقال أننى متأثر إلى حد كبير بتلك المواد التى كان الفرس والعرب يستعملونها فى أعمالهم .

إننى أجهز تلك المواد بنفسى ، لا مساعد لى فى ذلك . أحضر العجائن وأسوى منها الأوعية على أشكال شتى ثم أتركها على الأرفف لتجف ، وبعد ذلك أحرقها على درجة عالية من الحرارة (١٠٥٠ مئوية) فتكتسب صلابة كافية وتصير صالحة للعمل عليها فى الخطوات التالية .. وفى كل صباح يصحبنى كلبى العزيز ونجول معاً هنيهة فى حديقتى الجميلة ، نذهب بعدها إلى المصنع الواقع وراء تلك الحديقة ، فألقى نظرة خاطفة على الأوعية فيروقنى أحدها فأنتزعه من مكانه وأرسم عليه بالقلم الرصاص رسماً ما من غير سابق تحضير أو دراسة ، فاجعله حيواناً أو إنساناً أو شبيهاً بهما ، حسبما يتفق مع طبيعة الوعاء وقد أزيد عليه أو أنقص منه ؛ فإذا ما راقنى الرسم وضعت لون الخلفية (١) ، ثم أدخلته النار وحرقته على درجة الحرارة العالية المذكورة لمدة معينة ، ثم أخرجه بعدها حتى يبرد ، ثم أضع عليه ألوان الرسوم التى أتخيرها بعناية وأدخله النار مرة أخرى . وبعد ذلك أضع الذهب . وقد يدعونى الحال إلى إحراق الوعاء مرتين أو ثلاثا بل وست مرات حتى يكون بعدها كاملا . وأحيانا لا يعجبنى رسم أو لون ما فأغيره وأعيده إلى النار . وهنا سألته عما يعنى برسومه — وقد حيرنى أمرها — أهى موضوعات من القصص الأغريقى أو غيره ؟ فأجاب بالنفى قائلا : « إنها لمجرد الزخرفة وإيجاد التآلف والتوازن ليس إلا . فيعطيها من الألوان ما ينسجم وألوان الخلفية ويجعل المجموعة كلها جميلة تطرب العين والفؤاد معاً » . ثم إنه وافقنى على ما لاحظته من تأثره بالفن الأغريقى ، وبفن ميكائيل أنجلو الذى كان يعكف على دراسته ، وبالفن الفرنسى الذى كان سائداً فى عصر لويس الرابع عشر ، إلى أن قال : « ولكننى أحاول أن أتحرر منها تدريجياً ، وأختط لنفسى فناً خاصاً » .

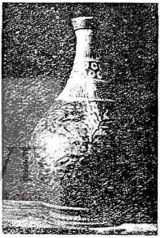
وبعد أن حدثنى عما شاهده من الفن المصرى القديم وعن خصائصه وروائعه سألته عما تركه ذلك الفن فى نفسه من أثر . وهنا حدجنى بنظرة عميقة ثم اندفع يقول فى حماسة ممزوجة بمرارة وألم : « كنت أظن أننى أوفيت على الغاية ؛ ولكننى اليوم أشعر بأننى قزم إلى جانب الفنان المصرى القديم الذى يبرز الجمال بقوة ، بسيطاً هادئاً ، لا تكلف فيه ولا إجهاد . أصبحت أرى ضآلة عملى وتفاهته بجانب تلك الأعمال الجليلة الرائعة . إن كل هذا (مشيراً بيده إلى قطعه الجميلة) هراء معقد لا غناء فيه . لسوف أقلع عن كل ذلك . آه ! لقد بدأت أفهم الآن ، والآن فقط بعد أن بلغت الخامسة والخمسين ، ولم يبق من العمر إلا أقله ، ومن الجهد إلا أسأله . اشدما يؤلمنى ذلك ! إن أخوف ما أخافه أن لا يسعفنى الأجل بتحقيق ما تصبو إليه نفسى وما ينفجر به خيالى الآن . عندما أعود إلى باريس سوف أكب على العمل بهمة زائدة وأحاول أن أخرج فناً بسيطاً جيلا حلواً . سأحاول أن أخرج بعض ما تملته وشاهدته هنا ؛ وسيكون فى ذلك نقطة

(١) وضعت كلة الخلفية لتؤدى معنى الكلمة الفرنسية Fon أو الكلمة الإنجليزية Background وعسى أن يعنى بها المجمع اللغوى .

التحول الماثلة فى حياتى الفنية التى أوشكت على الأفول » .

— وما رأيك فى مستقبل فن الخزف بمصر ؟

— لاينقصكم شىء من عناصر النجاح على ما رأى . فتربتكم غنية بأحسن المواد الأولية اللازمة للعمل ، وشبابكم على جانب وافر من الذكاء واستعداد للتوثب والابتكار . وكل ما ينقصكم هو فرن ذو حرارة عالية ! هذا كل ما فى الأمر . إننا نعرض عليكم بضاعتنا وفننا ، ولكنى أنا فرنسى أفكر برأس فرنسى ، ويجب أن تفكروا أنتم كذلك برؤوس مصرية .



— هل تعود إلى مصر مرة أخرى ؟

— لقد شغفتنى مصر والمصريون حبا . وأكبر ظنى أنى سأعود إليكم فى العام القادم حاملا بعض أعمالى الجديدة التى سأستوحيها من زيارتى لبلادكم الجميلة الغنيَة بالفن

وهنا أقبل بعض زملائه وأسر إليه شيئاً فاستأذن وانصرف

أما بعد فنرجو من وزارة المعارف أن تستن هذه السنة الحميدة فتستقدم إلينا كل عام بعض أساطين الفن من مختلف الشعوب حتى يتم التلاقح الفنى بيننا وبينهم ؛ شأنها فى ذلك شأن الفرق التمثيلية والجوقات الموسيقية ، كما نرجو أن تدفع فنانينا إلى الأمام بكل وسائل الترغيب والتشجيع حتى تستطيع مصر أن تبنى مجدها الفني الحديث على آثار فنها القديم .

محمد بهجت

المدير المساعد لقسم البساتين

وحشة شـــاعر ...

للشاعر السودانى أبى القاسم عثمان

أيها الليل يا عدو حيـــاتى   ومثير الجياش من أناتى

أنا أرهقت يا غشوم تماسا   تى وأسكرت بالغناء فلاتى

عبثاً تستخف بالنغم الحلو   وبالمطر فى ظلال حيـــاتى

مصر أوحت فأيقظت فى ضلوعى   نغماً تســـتحثه نزواتى

هنئت فيه بالضـــلالة أفرا   حى وأوتارى التى فى لهـاتى

فتوثبت فى مدارج ألحـــا   نى وهللت فى مدى صلواتى

وتطلعت للشعاع طموحاً   ساخراً بالظلام فى خلواتى

قبس الله قـــد أثار فتونى   وأمات المحزون من آهاتى

فى روابى « سنار » ودعت أيا   مى وذرفت أدمعي وشكاتى

كنت أودعتها نوازع نفسى   ألهبتها قساوة الذكريات

يا رفيق لقـــد لمست بقلبى   ما يعانى الغداة من صدمات

رحمتا فالضباب يزحم آفا   قى ويغتال هدأتى وثباتى

ورماد الأوهام فى ليل إدلا   جى أدال المسحور من نبراتى

قهقهات الأشباح أذكت جنونى   لا رعى الله فترة القهقهات

أنا من صارع الحياة فأفنى   عمره الغض فى صراع الحياة

لهف نفسى وقد حييت زماناً   فى ضجيج الأغلاط والنزهات

ما الذى قدر الإله لنفس   تعبت فى صياغة الأمنيات

غير أنى يزفنى لجهادى   عبقرى الأهداف والغايات

سوف أجتاز محنتى لأغنى   أغنيات الهروب والانفلات

مصر دنيا طلاقتى وكفاحى   ومنى مهجتى ومحراب ذاتى

فيك أنسيت يا كنانة أوجا   عى وأيقظت خافقى من سبات

أدركينى على البعاد فأنى   قد سئمت الشرور فى الفلوات

فيك يا مصر ثلة من رفاق   بهمو يستضاء فى الظلمات

شعراء يهزهم كل معنى   من معانى التسبيح والتلسفات

فاذكرونى أحبتى إن عودى   أيبســـته جسارة السافيات

أمسيات الخريف ضاعفن بأسى   فذكرت الندى من أمسياتى

أبو القاسم عثمان

الأدب والفن في أسبوع

جائزة فؤاد الأول الأدبية :

نشرت « أخبار اليوم » أن لجنة جائزة فؤاد الأول الأدبية رأت تقسيم الجائزتين المخصصتين لسنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨ بين أربعة أدباء ، هم الأساتذة عباس محمود العقاد والدكتور محمد حسين هيكل باشا والدكتور طه حسين بك والدكتور أحمد أمين بك ، ثم قالت : « وعلم ذلك الأستاذ العقاد ، فارسل كتابا إلى وزير المعارف يحتج فيه على تقسيم الجائزة إلى جائزتين ، وعلى مساواة مؤلف له ١٧ كتابا بمؤلف له جزء من كتاب ، ويعني بذلك أنه أصدر خلال السنوات الخمس الأخيرة ١٧ كتابا بينما لم يصدر الدكتور طه خلال هذه المدة إلا الجزء الأخير من هامش السيرة ، وأن هذا الجزء ليس دراسة ولكنه تصوير لفترة من التاريخ الإسلامي . كذلك أرسل الأستاذ العقاد كتابا آخر إلى رئيس ديوان جلالة الملك — مقدم الجائزة — شرح فيه تصرف اللجنة ، وقال إنه يخالف الفكرة التي أنشئت من أجلها الجائزة ، وقد أرسل معالي رئيس الديوان كتاب الأستاذ العقاد إلى وزير المعارف ، فأحاله إلى اللجنة وطلب إليها أن تبحث وجهة نظره ، وهل تقسم الجائزة ؟ ويستحسن أن يحتفظ بوحدتها لتكون تتويجا مناسبا للعمل الأدبي الذي أنتجه الفائز بها »

والواقع أن قانون الجوائز ينص على جواز التقسيم في حالة تساوي قيمة النتاج ، ولكن اللجنة زجحت فكرة التوحيد لتحقيق التتويج الأدبي المقصود من الجائزة ، فرأت أن يمنح كلا من الجائزتين أديب واحد . وهي الآن بصدد النظر في ثلاثة كتب ، هي « عبقرية عمر » للأستاذ العقاد ، و« الصديق أبو بكر » لهيكل باشا ، و « ظهر الإسلام » للدكتور أحمد أمين بك . أما كتاب الدكتور طه حسين بك وهو الجزء الثالث من « على هامش السيرة » فهو لا يدخل في الموضوع الذي قررت اللجنة تخصيص هاتين الجائزتين له ، وهو « الدراسات الإسلامية الأدبية » على أن تكون جوائز السنين القادمة في فنون الأدب الأخرى كالشعر والقصة . . الخ

ولذلك استبعدت اللجنة هذا الكتاب لأنه أقرب إلى التصوير الأدبي ، والمؤلف نفسه يقول في مقدمته إنه ليس دراسة ولا تاريخا .

ويتصل ذلك بما قالته « أخبار اليوم » من أن الأستاذين المازني وتوفيق الحكيم اعتذرا من عدم الاشتراك في هذه المباراة ، وقد بينت فيما مضى أن جوائز فؤاد الأول ليست مباراة وإنما هي للتتويج ، فهي تشبه جائزة « نوبل » . وأضيف الآن إلى ذلك أن الأستاذين المازني وتوفيق الحكيم لم يؤلفا كتبا في الدراسات الإسلامية الأدبية — وهي موضوع الجائزتين — في خلال السنوات الخمس الأخيرة ولا فيما قبلها ، فيم يعتذران ... ؟

عضوية المجمع اللغوي :

رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية في جلسته الأخيرة ، أن يؤجل الآن شغل الكرسي الذي خلا بوفاة أنطون الجميل باشا ، وذلك لفترة قد تتجاوز الدورة الحالية للمجمع

ومما يذكر أن أحد الأعضاء اقترح وضع قواعد لشغل الكراسي التي تخلو بالمجمع ، كالاعتماد على الآثار العلمية والأدبية للعضو المرشح للاختيار ، كما اقترح توزيع كراسي الأعضاء بحسب الاختصاص في العلوم والفنون والآداب ، حتى إذا خلا مكان روعي فيمن يشغله أن يكون مختصا في فن سلفه . ولم يبت في شيء من ذلك برأي .

إمارة الشعر :

قال الأستاذ العقاد في حديث له مع محرر « الزمان » وقد سأله عن رأيه في إمارة الشعر :

الشعر مذاهب كثيرة ولكل مذهب شخصية بارزة ممثلة له . ولقد وجد في انجلترا في عصر واحد أكثر من عشرة شعراء لا يمكنك أن تسمي واحدا منهم أميرا للشعر . ومع ذلك يمكنك أن تقول إن كلا منهم كان إماما في شعره . فأنت لا تستطيع أن تفاضل مثلا بين بيرون وشلي وكاوردج من حيث العظمة الشعرية ، ولكنك ترى لكل منهم نمطا من الشعر يتفوق فيه ، فهو إمامه وإذا شئت فهو أميره ...

الأدب الرمزي :

وقال الأستاذ أيضاً وقد سأله المحرر عن رأيه في الأدب الرمزي :

كلمة الأدب الرمزي كلمة سخيفة ، لأن الأدب قبل كل شيء الافصاح ، فمن عجز عن الافصاح فأولى له أن يترك الأدب ، ومن كان لا يتكلم إلا بالرموز فخير له أن يخترع له لغة أخرى غير هذه التي تواضع الناس على التفاهم بها ، وليخترع إن استطاع نوعاً من الهيرغليفية القديمة تغنى فيها الصور والإشارات عن الحروف والكلمات . إن ما يسمونه بالأدب الرمزي سواء في مصر أو في أوربا ليس له عندي أشرف من كلمة واحدة باللغة العامة وهي « تهجيص » !

نهر النيل في الأدب :

ألقى الدكتور محمد عوض محمد بك محاضرة عنوانها « نهر النيل في الأدب » بالاتحاد المصري الثقافي يوم الثلاثاء الماضي ، قال في أولها : أريد أن أطوف بالميدان الأدبي لكي أنظر إلى الشعراء أو الكتاب الذين كان النيل ملهماً لهم ودافعاً إياهم إلى بعض الانتاج الأدبي في موضوع نهر النيل ، وأنا لم أحاول أن أفتش في كل الآداب عما يتصل بالنيل ، فهذا العمل يحتاج إلى عصابة قوية من الباحثين ، إنما أريد أن أعرض ما عثرت عليه بطريق المصادفة المحضة ، ويسرني أن ألقى مساعدة من الأدباء في استكمال هذا البحث حتى تتكون لدينا مجموعة عظيمة لأدب نهر النيل تستحق أن يتألف منها مجلد ضخم .

ثم تتبع موضوع النيل في الأدب بالترتيب الزمني ، فبدأ بالأدب المصري القديم وأورد منه قصائد في النيل ؛ وتحدث عن ثلاث قصائد في موضوع النيل لثلاثة من كبار شعراء الانجليز هم شلي وكيتس وهنت ، فقال إن هؤلاء الشعراء الثلاثة اجتمعوا في يوم من سنة ١٨١٨ م واتفقوا على أن يؤلف كل منهم أنشودة موضوعها النيل ، على سبيل المنافسة الأدبية ، وقال إن هذا الاتفاق يرجع إلى أن اهتمام الناس في أوربا بنهر النيل قد أخذ ينتعش في أوائل القرن التاسع عشر ، وقد أخذ بعض المستكشفين يقوم برحلات للبحث عن منابع النهر ، ثم ينشر قصة رحلاته فيلفت الأنظار مرة أخرى إلى هذا الموضوع القديم .

ثم انتقل الدكتور عوض بك بعد ذلك إلى الأدب العربي فقال إننا نلاحظ أن نهر النيل لم يجد في الأدب العربي القديم من يعنى بشأنه سواء من زار مصر وأقام على ضفاف النهر أو من سمع به وكان من الجائز أن يصفه على السماع كما فعل الشعراء الانجليز. وقد أشار إليه القرآن الكريم : « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » ونلاحظ أن وصف الأرض بأنها تجري من تحتها الأنهار كثيراً ما ورد في وصف الفردوس . كذلك ورد ذكر مصر ونيلها في الحديث وفي الكتب التي تنسب إلى عمرو بن العاص ولكن ذكرها لم يرد على لسان الشعراء إلا قليلا . وقد زار مصر من كبار الشعراء العرب عدد ليس بالقليل منهم أبو نواس الذي مدح والي مصر « الخصيب » بشعر جميل لم يرد فيه ذكر النيل ومصر إلا عرضاً كما ترى في قوله :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

وقد نشأ أبو تمام في مصر ولكنه لم يذكر في شعره مصر ونيلها مع أنه كان يسقي ماء النيل بالجرة في المسجد الجامع بمصر. كذلك زار مصر المتنبي وقد ذكر النيل عرضاً في شعره . وهو وإن لم يهتم بالقول في النيل إلا أنه لم ينج من أثر النيل في شعره ؛ فإن أشعاره التي قالها في مصر هي أبدع وأروع مما ألفه قبل إقامته في مصر وبعدها . وأرجع الدكتور عدم اهتمام هؤلاء الشعراء بمعالجة موضوع نهر النيل إلى عدة أسباب ، أهمها أن وصف الأنهار والبحار والغابات لم يكن من الموضوعات التي ألفها شعراؤنا ، وأن الشعراء في أوائل العهد العربي لم يكونوا من المصريين، ولم يكثر ذكر النيل في الشعر العربي إلا بعد أن أصبحت العربية لساناً لأهل مصر ولغة أدبائهم . ومع ذلك فإن الشعراء المصريين كانوا في أول الأمر مقيدين بما ورثوه من تقاليد شعرية . ومما يلاحظ أن العصر الذي أخذ فيه الشعراء المصريون يعالجون موضوع نهر النيل كان الشعر قد أخذ ينحط كثيراً عما كان عليه في العصر العباسي الأول . وهم على كل حال كانوا يحسون بالنهر ويشعرون به فقالوا في التشوق إليه وفي وصفه وفي فيضانه والمقياس الذي يقاس به وفاء النيل وفي جزيرة الروضة ومنظر السفن في النهر

وأيام اللهو على ضفته والرياض التي يجرى وسطها وما إلى ذلك .

ثم انتقل الدكتور عوض إلى عصر النهضة الحديثة التي ازدهر فيها الأدب وأصبح شاعراً بوجود النيل إلى أن قال : إن شعراء مصر في عصرنا هذا قد يخصون النيل بأبيات أو مقطوعات أو إشارات ، أما شوقي فقد جاراهم في هذا ولكنه زهم بأن خص النيل بقصيدة من أروع قصائده تجمع بين الوصف الصادق والخيال المبتكر والنزعة الفلسفية والنظر إلى النيل ككائن مستقل لا كعرض من أعراض الحياة ، وتجمع بين الوصف الشعرى وبين حوادث التاريخ ، وهي القصيدة التي أهداها شاعرنا إلى العالم المستشرق مرجليوث والتي يخاطب النهر في أولها بقوله :

من أي عهد في القرى تتدفق وبأي كف في المدائن تغدق

وقال الدكتور : بهذه القصيدة نستطيع أن نقف أمام شعراء الغرب الذين تناولوا هذا الموضوع أمثال كيتس وشلى وهنت ، دون أن نخجل من تقصير أدبنا عن أدبهم في موضوع شديد الصلة بحياتنا دون حياتهم .

تحول فكرى في أمريكا :

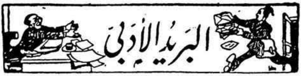
في يوم الجمعة الماضي ألقى الأستاذ فؤاد صروف محاضرة في قاعة يورت بالجامعة الأمريكية ، موضوعها «الاتجاهات السياسية والاجتماعية الحاضرة في الولايات المتحدة الأمريكية» وهي حلقة من سلسلة محاضرات «العالم كما هو اليوم» التي ينظمها قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية .

بين الأستاذ المحاضر ما يسود الولايات المتحدة الآن من التيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وقد أجملها في ثلاثة ، فقال إن في حياة الولايات المتحدة ثلاثة تيارات عميقة ، وهي خروجها من عزلتها ، وميلها إلى تعزيز نظام الاجتهاد الحر الذي يقوم على مبدأ «وأن ليس للانسان إلا ما سعى» بتوفير أسباب العدالة الاجتماعية ، واتجاه أهل الفكر والتربية فيها إلى دراسة الأساس الخلقي الاجتماعي للحضارة الصناعية التي تعد الولايات المتحدة أتم مثال لها . وأوضح هذا التيار الفكرى بقوله : إن قيام الدولة الأمريكية في قارة غنية صرف التربية الأمريكية خلال زمن طويل إلى تقديم دراسة التكنولوجيا (علم الحرف والصناعات) على دراسة العلوم الانسانية ، فالأب الذي يريد أن يقدم هدية إلى ابنه الصغير ، يميل على الأكثر إلى تقديم مجموعة من الآلات يلهو بها ، فيفككها ويركبها ؛ وهذا الانصراف إلى تقديم التكنولوجيا على دراسة الآداب القديمة ، هو الذي جعل تقدم أمريكا الصناعي شيئاً يبهر النفس في سرعته وعظمته .

ولست أريد أن أزعم أن طائفة كبيرة من الجامعات العريقة نبذت العناية بالعلوم الانسانية والآداب القديمة ، ولكن أقول إن العناية بتقديم التكنولوجيا هي الغالبة . بيد أن طائفة من رجال الفكر أخذت تدعو إلى نهج جديد ، فمشكلات العالم الحديث في رأيها ليست مشكلات معرفة وإنتاج وحسب ، فقد تقدمت المعرفة تقدماً عظيما وارتقت وسائل الانتاج الصناعي والزراعي ارتقاء باهراً ، فلم يغن كل ذلك في حل المشكلات الاجتماعية وزيادة سعادة الناس ، ولكن المشكلات ترتد — في رأيها — إلى جهل ما للمعرفة ووسائل الإنتاج من قيمة اجتماعية ، فالاجتماع البشرى الذي يسير في طريق الكمال ليس يكفيه أن تكثر فيه المعرفة وأن تتوافر فيه وسائل الإنتاج ، بل ينبغي له أن تكون المعرفة طريقاً إلى الحكمة ، وأن تفضي وفرة الانتاج إلى حسن التوزيع بين الناس ، فإلى الرضا والطمأنينة والسعادة ؛ وهذا التيار في التربية الأمريكية لا يزال في أوله ، ولكنه قوى زاخر .

ثم قال : إن مستوى المعيشة العالي أو الكافي ليس سوى مرحلة في الطريق المفضي إلى مستوى صحيح للحياة ، والرخاء لا نفع فيه إلا على قدر ما يهيء من جو يكفل سعادة العقل وسكينة النفس . ولن نستطيع أن نقيم على سطح الأرض حضارة صالحة للبقاء ، إذا أقمناها على الرخاء وحسب دون الفضائل العريقة ودون إدراك القيم الاجتماعية والروحية للأشياء المادية التي صرنا نحسن صنعها وعرضها . وإذن فاتجاه الأمة الأمريكية إلى استكشاف هذه القيم ودراستها والعودة بها إلى الأصول التي قامت عليها الأمة الأمريكية في عهدها الأول هو أهم اتجاه حديث في حياتها اليوم ؛ لأنه إذا استطاع الشعب الأمريكي أن يحل مشكلة حياته الخاصة ويصون فضائله العريقة وإيمانه بالمثل التي من أجلها هجر آباؤه الأولون قارة أوربا وفي سبيلها خاض حربين عالميتين ، ففي وسعنا أن نطمئن إلى أن ضمان حق الحياة والحرية وطلب السعادة في حضارة تعد الرجل رجلا لا عبدا سوف يكون المصباح الذي يهتدى به الأمريكيون في علاقاتهم بسائر الناس .

العباس



نعم تملك تحريم تعدد الزوجات :

ما كنت أظن أن يخفى ما كتبته تحت هذا العنوان بعدد الرسالة فى ٥ من إبريل سنة ١٩٤٨ م على صديقى الأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى ، حتى يرد ما لا يرد منه فى عدد (٧٧٢) من مجلة الرسالة ، لأنه لا ينـكر أحد أن ينقلب المباح حراماً إذا نهى عنه ولى الأمر لمصلحة تقتضى النهى عنه ، كأن ينهى عن زرع القطن فى أكثر من ثلث الملك ، فتجب طاعته شرعاً فى ذلك ، وتحرم مخالفته فيـه ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فيـكون زرع القطن فى أكثر من الثلث حراماً من هذه الناحية ، وإن كان فى ذاته مباحاً ، وقد يـكون هناك ضرر من إطلاق زرعه ، ولـكنه لا يصل إلى درجة التحريم إلا بنهى ولى الأمر عنه ، لأنه ليس بالضرر الذى يقتضى الحرمة

وكذلك الأمر فى تعدد الزوجات ، فلولى الأمر أن ينهى عنه إذا أسـاء المسلمون استعماله ، فيصير حراماً لنهيه عنه ، وإن كان فى ذاته مباحاً . وهذا أمر معروف بين العلماء ، لأن الله تعالى لم يبح لنا شيئاً إلا فى حدود المصلحة ، فإذا انتفت المصلحة انتفت الإباحة ، بل نص العلماء على أن من المندوب ماينقلب مكروهاً لسبب من الأسباب . وكل ما ذكره الأستاذ زكى الدين فى رد هذا لا يعدو أن يكون تنظيما فيه أو استثناء له من ولى الأمر ، بمقتضى ماله من حق التحريم والمنع . ولعل مما يدعو إلى هذا أن الناس لم يتهيئوا بعد لفهم هـذا الحق ، بل يعدوه خروجاً على الدين ، فيحمل هذا ولى الأمر على أن يستثنى فى ذلك مايستثنى ، ولا يذهب فيه إلى آخر ما جعله الله من حقه .

عبد المتعال الصعيدى

١ — شرط رواية الحديث الضعيف :

فى صباح السبت ١٠ من ابريل سنة ١٩٤٨ حدثنا فى الذياع عالم أديب عن الجهاد ، وعزا الخبر المشهور (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ...) إلى النبى عليه صلوات الله وسلامه .

وفى معجم المحدث العجلونى المسمى (كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) ج ١ ص ٤٢٤ قال الحافظ ابن حجر : هو مشهور على الألسنة وهو من كلام ابراهيم بن علية . وقال العراقى : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر .

ويشترط المحققون من المحدثين كالعز بن عبد السلام سلطان العلماء ، وابن دقيق العيد ، والنووى أن تـكون صيغة رواية الضعيف صيغة تضعيف وتمريض مثل ورد ويحكى ويذكر ويروى والفقيه ابن حجر الهيتمى يثبت ذلك فى كتابه الفتاوى الحديثية ، عدم جواز رواية أى حديث إلا بعد معرفة درجته من الصحة وغيرها

٢ — أول اكتتاب فى الاسلام :

فى (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس) وغيرها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أراد التوجه إلى غزوة تبوك أو العسرة لأنها كانت فى زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد حض أهل الغنى على النفقة فى سبيل الله والحلان والقوة والتأسى ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، بذل عشرة آلاف دينار وثلاثمائة جمل . وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم . وجاء عمر بنصف ماله ، واقتدى بهم أكثر الصحابة وأما النساء فقد تبرعن بحليهن . ومفصل أخبار تلك الغزوة فى (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى ج ٦ ص ١٩١ — ١٩٥ وج ٩ ص ٥٨ .

محمد أسامة عليبة

أعضاء مراسلون للمجمع اللغوى :

أصدر معالى الدكتور السنهورى باشا وزير المعارف قراراً بتعيين المذكورين بعد أعضاء مراسلين لمجمع فؤاد الأول للغة العربية وهم حضرات الأساتذة : جبرييل (روما — ايطاليا) ،

وأربرى (لندن — بريطانيا) ، ولاوست (ليون — فرنسا) ، ينبرج (أبسالا — النرويج) ، خليل مردم وشفيق جبرى والأمير مصطفى الشهابى (سوريا) ، ومحمد بهجت الأثرى (العراق) ، وطاهر بن عاشور (تونس) ، والشيخ محمد الجخوى وعلال الفاسى (مراكش) ، والشيخ محمد نور الحسن (السودان) ، وخير الدين الزركلى (المملكة العربية السعودية) ، وعبدالله عبدالرحمن الأمين (من موظفى المعارف بالسودان) .

وقد علمنا أن الأستاذ ميخائيل نعيمه من بين المرشحين عن لبنان والسيد اسحاق الحسينى من المرشحين عن فلسطين وعلمنا كذلك أن الهيئة متجهة إلى اختيار عضوين مراسلين لكل بلد . والطريقة المتبعة أن يتفق الجمع على الأسماء ثم يبلغها لمعالى وزير المعارف لاصدار القرار بتعيينهم

حول قصيدة :

فى مجلة « العالم العربى » لشهر إبريل الجارى قصيدة للآنسة الفاضلة فدوى طوقان بنابلس بعنوان « ليل وقلب » . هذه القصيدة (بقضها وقضيضها) أذكر أنها نشرت فى مجلة « الرسالة » الغراء العدد (٧٤١) إلا أنه وقع تحريف فى بيت منها ؛ فهو فى الرسالة :

تخاف على زهرات (الصبى) تبددها كفه القاسية

وفى العالم العربى :

تخاف على زهرات (الربيع) تبددها كفه القاسية .

ويبقى أن نسأل : كيف يجوز إن جاز نشر قصيدة بعينها فى فى مجلتين سيارتين فى « مصر » واحد وقطر واحد ؟

ثم هل يقع اللوم على المرسل إن كان أرسل ، أم على الناشر إن كان نقل ؟ الجواب الدراك ، ننتظره من هنا أو من هناك !

(عين)

أين الأستاذ الطنطاوى :

ما لهذه الأحداث الكبيرة التى تلم بالشرق فتوسيه ، وبقلب المسلم فتدميه ، وبدنيا العرب الهادئة الوادعة فتحيلها ناراً لاهبة لا تحرك من قلم الأستاذ (الطنطاوى) ماسكن ! .. ولا تثير فى قلبه الحى المؤمن ما كن ؟! ..

كيف لا تذكى هذه المحن الفاجعة فى نفسه أوار العزة والنضال فيهب ليدافع عن الحق وكرامة الإسلام وقد عهدناه فارساً حراً لا يعل النزال ! .. هل أيس من الإصلاح وكفر بالإنسان فألقى السلاح الذى جاهد به طويلا فى شــبابه وكهولته حين أشفى على الأربعين ؟! ..

(فتى الفيحاء)

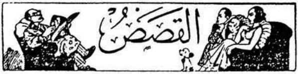
استفهام :

استدعى نظرى قول الأستاذ « عبد القادر الناصرى » فى قصيدته « قلب شاعر »

حتام أظمأ والأقداح دائرة مثل الكواكب مابين الندامــاء

فقد بحثت فى قاموس « الفيروزابادى » فى مادة « ندم » فلم أجد جمعاً مثل قوله « النداماء » والمعروف أن الجمع إنما هو « نُدماء » و« ندامى » و« نِدام » أرجو توضيح ذلك . وحبذا لو قال « مابين الأخلاء » وقوله فى نهاية القصيدة « إن لم تكن روحه تصبو لعلياء » فالمعروف أن الفعل « صبا » يتعدى « بإلى » لا « باللام » .

علي زين العابدين منصور



من الأدب الايطالي :

ذلك الرجـــــل !!

للشاعر الايطالي جبريل دانونزيو

بقلم الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

كان قصـير القامة ممشوقها ، تنوء رقبته برأس ضخم يميل قليلا إلى اليسار ، وقـد اكتسى هذا الرأس غابة كثيفة من الشعر الـكستناني المسترسل إلى كتفيه في تجعدات والتواءات ، تلعب به الريح لعبها بعرف الجواد ، ولحية كثة كلحية المتقشفين ، تركها دون تهذيب وقد تراكمت عليها ندف صغيرة من القش . وكانت عيناه تتطلعان دائماً إلى موقع قدميه العاريتين ، حتى إذا ما رفعهما ظهر فيهما الغموض والابهام ، ولاح فيهما الرعب ، أو بدتا كما لو كانتا عيني مخبول تارة ، أو رجل محموم تارة أخرى . أو تشهد فيهما ما يجملك تفـكر في الماء الأخضر الآسن الراكد في حفرة ضيقة ، أو في وميض السيف اللامع .

كان يرتدي سترة قديمة حمراء ، قد ألقى بها على كتفيه كأنها المعطف . وكان الناس يروون عنه شتى الأقاصيص ، ويتحدثون عن حب ، وخيانة ، واعتداء ، وهروب …

كنت في سن الثالثة عشرة عند ما قابلته أول مرة ، فجذبني منظره . وكان ذلك في يوم من أيام الصيف الحارة والميدان الـكبير تغمره الشمس، وقد أقفر إلا من بعض الـكلاب تتسكع هنا وهناك، والسكون يخيم على المكان ، اللهم إلا من ذلك الصرير الممل لعجلة السنان . وكنت قد اعتدت الوقوف برهة أراقب ذلك الرجل من خلف مصراعي نافذة غرفتي ، فأراه يسـير في بطء تحت شمس الظهيرة ، يختال في جومن العظمة ، أو يزحف قرب الـكلاب في هدوء حتى لا تلاحظه ، ويلتقط حجراً يقذفها به في خفة ثم يهرب متظاهراً بأنه شيء غير منظور ، فتقبل عليه الـكلاب وتلتف حوله وهي تبصبص بأذنابها ، فينظر إليها ثم ينفجر ضاحكا ضحكات قصيرة صبيانية فأشاركه ضحكه .

وفي ذات يوم تمالـكت شجاعتي ، وأطللت برأسي من النافذة ثم ناديته . فالتفت إلى في سرعة ثم ابتسم ، والتقطت زهرة من الأصيص قذفت بها إليه ، ومنذ ذلك الحين أصبحنا صديقين .

وفي مساء يوم سبت كنت واقفاً على الجسر وحيداً أراقب حركة أسطول الصيادين وهو راجع من الصيد . كانت شمس يوليو البـديعة تغرب ، وقد احمرت السماء بالسحب الذهبية ، وتوهج النهر الجاري صوب البحر وارتعشت أمواجه في تلألؤ . وكانت الضفاف تحت الهضبات تلقي ظلها على الماء فتنعكس الأشجار ، وتظهر قممها كأنها نائمة على صفحة المـاء في ذلك الجو الحار . وجعلت القوارب تلقي مراسيها في بطء وقـد طوت أشرعتها البرتقالية الـكبيرة ذات الخطوط الزخرفية السوداء . وابتدأت تفرغ حمولتها من السمك . وسرت الريح تحمل أصوات النوتية ورائحة الصخور .

والتفت فجأة ورائي فرأيت الرجل واقفاً يتصبب عرقاً ، وقد أخفى يده اليمنى وراء ظهره ، وأضاءت فمـه ابتسامته الصبيانية المعهودة . فصحت أهتف باسمه وأنا أمد يدي المتخاذلة إليه في سرور . وتقدم نحوي وقدم إلى بيده التي كان يخفيها باقة أنيقة من الخشخاش الأحمر وسنابل القمح الذهبية . فصحت وأنا أتناولها منه « أشكرك ، أشكرك ، ما أجملها … »

وسحب يده على حاجبيه ، وجعل يمسح العرق المتساقط ثم ينظر إلى أصابعه المبللة ثم إلي، وأخيراً ضحك وقال « إن الخشخاش الأحمر ينمو بين القمح الأصفر هناك في الحقول ، فرأيتها وأحضرتها لك فقلت لي » ما أجملها « وكانت الشمس هنـاك كالنار » .

كان يتـكلم في خنوع ، ويقف بين كل كلمة وأخرى كأنه يحاول أن يتبع خيط أفـكاره . إن آلاف الصور المبهمة المضطربة كانت تتجمع في ذهنه . فيحاول أن يبرزها ويتشبث باثنتين

أو ثلاثة منها ، تلك التى كانت أكثرها ثبوتاً وأوضحها صورة ، وتهرب منه الصور الباقية . كنت ألحظ ذلك فى عينيه فأتعجب . وكأنه شعر بما يجول فى خاطرى ، فأدار رأسه صوب قوارب الصيد وقال وهو يفكر :

— هذا الشراع ، إنه شراعان ، واحد فى الهواء ، وواحد فى الماء .

كان لايدرك أن الشراع الأسفل انعكاس الشراع الأعلى على صفحة الماء . فجعلت أشرح له ذلك قدر امكانى ، فاستمع إلى فى ذهول ، ثم ابتسم وتطلع إلى الأشرعة .

وسقطت زهرة من الخشخاش فى النهر ، فراقبها حتى اختفت مع التيار ، ثم قال فى صوت حزين لا يوصف « لقد رحلت بعيداً ، بعيداً جداً » وكأنها شىء عزيز لديه » .

وبعد لحظة من الصمت سألته « من أى قرية أتيت ؟ »

فالتفت صوب السماء يتطلع إلى صفـاء لونها الزبرجدى .

كانت الجبال القاتمة تظهر أمام الأفق كأنها جبار راقد . وامتد الجسر الحديدى فوق النهر يقطع السماء إلى صور صغيرة ، وظهرت خلفه الأشجار الخضراء وقد استحالت إلى أشباح قاتمة . واختلطت ضحكات الجنود فى الثكنات بصوت البوق

وأخيراً قال « كان عندى منزل أبيض ، نعم كان كذلك ، تحفه حديقة كبيرة من الفواكه . لقد اعتادت تريزا أن تحضر فى المساء . كانت جميلة ، إن عينيها ... ولكن ... »

وكف عن الكلام وقد ظهرت على عينيه الكآبة . ولكن سرعان ما عاد إلى هدوئه ، ثم انحنى لى ، وسار مبتعداً عنى وهو يغنى .

***

ومنذ ذلك الحين كنت كلما أراه يمر فى الطريق أناديه وأجود له ببعض الطعام . وفى ذات مرة قدمت إليه القليل من النقود الذى أعطتنى إياه والدتى ، فنظر إلىّ فى صرامة ، ثم دفع بها إلى فى احتقار ظاهر ، وأخيراً أدار ظهره ومشى دون أن يلتفت إلى .

وفى ذلك المساء قابلته خارج الميناء الجديد ، فتقدمت إليه قائلا

— سامحنى ، سامحنى .

فهرب كأنه حيوان جافل ، وفى لحظة كان قد اختفى عن أنظارى بين الأشجار . ولكن فى صباح اليوم التالى كان ينتظرنى على باب دارى ، وابتسم فى شجاعة ، ثم قدم إلى باقة يانعة من زهور الرجريت . كانت عيناه مخضلتين بالدموع ، وشفتاه ترتمشان ... وعادت المياه إلى مجاريها .

وفى ذات مرة ، فى أواخر شهر أغسطس ، كنا جالسين فى نهاية الطريق وكانت الشمس قد توارت بالجبال . وقد امتدت أشجار الصنوبر حتى البحر ، وابتدأ القمر يرتفع فى بطء فى عنان السماء بين السحب القاتمة ...

ونظر إلى القمر ثم تمتم قائلا « انظر ! الآن تستطيع أن تراه .. تستطيع أن تراه »

وجعل يتأمله لحظة ثم قال « ذلك القمر ! إن له عينين وأنفاً وفماً كالبشر ، لست أدرى ما الذى يفكر فيه . من يدرى ؟ »

ثم جعل يدندن أغنية ذات لحن حزين ، من تلك الأغنيات التى يرتلها الأهلون عند قطف الكروم فى ليالى الخريف الحارة .

وكان يلوح لنا عن بعد مصباحا قطار قادم فى سرعة ، فظهرا كأنهما عينا وحش تحدقان فينا . ومر القطار يهدر ويتعالى دخانه وصفيره عند عبوره الجسر الحديدى ، وعاد الصمت يخيم تدريجياً على الأرض الشاسعة .

ووقف الرجل على قدميه وصاح وهو يشير إلى القطار المبتعد « إذهب ، إذهب ، إذهب ، بعيداً ، بعيداً ، إنك تنساب كالتنين ، والنار فى داخلك ، النار التى وضعها فيك الشيطان »

ولن أنسى ما حييت منظره وهو واقف فى هذه اللحظة .. ولم يهدأ انفعاله الأبعد أن تلاشى صوت القطار وعاد الصمت يخيم على الطبيعة .

وعندما كنا فى طريقنا إلى الدار كان لايزال غارقاً فى أحلامه

***

وفى ذات صباح جميل من سبتمبر ذهبنا إلى البحر . إن ذلك الاتساع السرمدى للماء الأزرق العميق كان ممتداً حتى الأفق المتألق ، وكانت قوارب الصيد تبحر أزواجا ، فتظهر كأنها طيور هائلة الحجم مجهولة النوع ، قدنشرت أجنحتها الصفراء القرمزية . وكانت الهضاب الرملية-النحاسية ترقد على طول الساحل خلفنا وقد لاحت من ورائها الكتل الضخمة الخضراء من مزروعات